هربرت جورج ويلز

تاريخ مستر بولي

The History of Mr. Polly

ترجمة: ميسرة الدنداوي

الرواق للنشر والتوزيع

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

تاريخ مستر بولي

رواية مترجمة..

الكاتب: هربرت چورچ ويلز
ترجمة: ميسرة الدندراوي

إهداء المترجم

إلى أرواح كل من رحلوا

بعد أن علموني كيف أكون أنا

إلى أبي وأمي..

إلى هربرت جورج ويلز

الرجل الذي صنع الخيال..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة المترجم

في البداية، لا بد أن نتحدث عن العقل الذي صنع هذه الرواية، قبل أن نتحدث عن الرواية نفسها.

لابد أن نتحدث عن هربرت جورج ويلز، الرجل الذي ولد في مقاطعة كنت في إنجلترا، في سبتمبر من العام 1866.

نشأ ويلز في عائلة من الطبقة الوسطى، وتلقى تعليمًا ضعيفًا، تركّز أغلبه على علوم الكلام واللاهوت والتاريخ، لكنه اضطر لترك تعليمه مبكرًا بعد أن أفلس والده، واضطر إلى العمل كمساعد في أحد متاجر الأقمشة في كنت، وهو في عمر الرابعة عشرة.

وكعادة أغلب عباقرة ذلك الزمن، فقد استولى الخيال وحب القراءة على عقل ويلز، ثم اكتشف كاتبنا العزيز ذلك الاكتشاف الذي سيغير تاريخ الأدب للأبد.

الكتابة.

في عام 1895، نشر ويلز روايته الأولى -والأهم من وجهة نظر الكثيرين- رواية (آلة الزمن)، ثم تبعها في العام 1896 بروايته العظيمة (جزيرة الدكتور مورو). ومن يومها، عرف قراء الأدب أنهم أمام نوع جديد من الأدب يدعى (الخيال العلمي الاجتماعي) أو Social Science Fiction، وهو فرع من الأدب يستخدم الخيال العلمي كوسيلة لتعرية مشاكل المجتمع، ومناقشة الفساد الاجتماعي بطريقة جذابة وساحرة.

وتواصل إنتاج ويلز الأدبي الكبير، الذي بلغ خمسة وأربعين رواية، وأكثر من مائة وخمسين قصة قصيرة، وأكثر من ألف مقال نقدي وسياسي، وموسوعة مبسطة من مجلدين: (موجز تاريخ العالم).

نذكر طبعًا أعمال ويلز الشهيرة، مثل (الرجل الخفي) و(حرب العوالم) و(بلد العميان)، والرواية التي نترجمها للقارئ العربي لأول مرة في ترجمة احترافية صحيحة؛ (تاريخ السيد بولي)، وهي واحدة من ثلاث روايات تخلى فيها ويلز عن ولعه الشديد بالخيال العلمي.

تحكي الرواية قصة السيد ألفريد بولي، المولود في نهاية القرن التاسع عشر، والذي يعيش في مدينة بريطانية عادية، وسط سكانها الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى.

يعيش السيد بولي في منزله الملحق به محل تجارته البائرة، متزوجًا من سيدة عادية في حياة مملة مكررة. ومن ثم يجلس ليتذكر تاريخه، ويقرر التخلص من حياته، ليفاجأ بتحوّل كبير يقوده إلى هجر حياته المملة، والانطلاق في رحلة للبحث عن ذاته المفقودة، ليكتشف أن الحياة مازالت تستحق أن تعاش، وأن العالم مليء بالأشياء المبهجة التي مازالت تنتظر من يكتشفها.

صُنفت رواية (تاريخ السيد بولي) كواحدة من أفضل مائة رواية في تاريخ الأدب، وتمت معالجتها في فيلم سينمائي عام 1949، وكذلك في عدة مسلسلات إذاعية وتليفزيونية بريطانية.

ورغم أنها لا تنتمي للون الذي برع فيه ويلز، إلا أنها قدمت تأريخًا اجتماعيًا لحياة الملايين من الطبقة الوسطى البريطانية، والتي نشأت في نهايات القرن التاسع عشر، ومازالت تُشكّل السواد الأعظم من المجتمع البريطاني، وربما مازالت تُشكّل السواد الأعظم من غالبية سكان العالم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الأول
البدايات والبازار

(1)

- الحفرة.

ردَّدها السيد (بولي) مُكرِّرًا، ثم من أجل التغيير وبتركيز متزايد تابع:

- أوليه!

مُبديًا سعادة مزيفة ساخرة وهو يُردِّد الكلمة بصوتٍ مرتفع، ثم تابع مستخدمًا أحد تعابيره الخاصة والغريبة:

- أيتها الحفرة البغيضة السخيفة المُقزِّزة!

كان جالسًا على سلَّم خشبي بين حقلين رديئين بائرين، ويعاني بشدة عُسْر الهضم.

تذكر أنه دائمًا ما عانى عُسْر الهضم، كل يوم تقريبًا في حياته، ولكن نظرًا لأنه كان يفتقر إلى مَلَكَة التوقع والاستبطان فقد أسقط هذا الانزعاج المرتبط بعسر الهضم على حالة العالم من حوله.

بعد ظهر كل يوم، اكتشف من جديد أن الحياة كليًّا، وأن كل جانب من جوانب الحياة ما هو إلا فعل وحشي تعذيبي، وبعد ظهر هذا اليوم، وبعد أن جَذَبَه اللون الأزرق الوهمي لسماء كانت تبدو زرقاء بفعل الريح التي حرَّكت السُّحب، فقد خرج على أمل أن ينتزع شيئًا من بهجة الربيع.

ومع ذلك، رفضت الكيمياء الغامضة للعقل والجسد حصوله على أي بهجة مهما كانت في هذا الربيع.

واجه صعوبة بسيطة في العثور على قُبَّعته قبل أن يخرج، فلقد أراد أن يرتدي قبعة الجولف الجديدة، ولا بُدَّ أن السيدة (بولي) تحتاج إلى إخراج الماء بشكل كامل من قبعته القديمة ذات اللباد البُنِّي الناعم.

قالت بنبرة من التشجيع غير الصادق:

- يمكنك البحث عنها والخروج بها.

كان يبحث بين الصحف المُكدَّسة تحت خزانة المطبخ، وبعد أن وجد القبعة لبسها، لكنها لم تكن على ما يُرام.

لا شيء يبدو على ما يُرام مع هذه القبعة.

وضع يدًا مرتجفة بعض الشيء على قِمة القبعة، وضغطها على رأسه، وحاول أن يميلها إلى اليمين، ثم يميلها إلى اليسار كي تثبت فوق رأسه.

حجبت القبعة الربع العلوي الشرير مِن وجهه، فشعر بإهانة شديدة، وراح يتحدث بغضب إلى زوجته:

- هل فُرِض عليَّ أن أرتدي فطيرة الطين السخيفة هذه إلى الأبد؟ أليس كذلك؟! أقول لك إنني لن أفعل، فأنَا أشعر بالتقزز من هذه القبعة، بل وأشعر بالتقزز من كل شيء محيط بهذه.. القبعة!

أمسكها بأصابع ترتجف، وخلعها عن رأسه، وراحِ يردد كلمة:

- قبعة! بهستيرية، ثم ألقى بها على الأرض، ورَكَلها بغضب غير عادي عبر بلاط المطبخ، فطارت نحو الباب، وسقطت على الأرض، وقد انتزع شريطها إلى نصفين..

- لن أخرج!

قالها في عصبية وهو يمد يده في جانب معطفه الأيمن، فاكتشف أن غطاء الجيب غير موجود!

لذا -ودون أن ينبس بحرف واحد- خرج من الباب الواصل بين متجره والمطبخ، وصفقه خلفه بعنف وهو ينتقل إلى المتجر كعادته كل يوم.

- جميل!

قالتها السيدة (بولي) أخيرًا بصوت عالٍ، ثم التقطت غطاء الرأس المرفوض، وراحت تنفض الغبار عنه، وأضافت:

- المزيد من نوبات الغضب، لكني لم أعد أتحلَّى بالصبر!

ثم راحت تتحرك في هدوء وبُطء، وعلى وجهها تعابير الاستياء وهي تنقل الأطباق المتَّسخة ببقايا وجبتهم الأخيرة إلى الحوض.

لا يبدو لها أن الطعام الذي أعدته له يُبرِّر جحودها للجميل.

كان هناك لحم خنزير بارد منذ يوم الأحد، وبعض البطاطا الباردة اللذيذة، وبعض من مخللات راشدال المشكلة، والتي كان السيد (بولي) مولعًا بها بشكل مفرط.

كان قد أكل ثلاث قطع من الخيار، وبصلتين، ورأس قرنبيط صغير، وكل هذا بشهية وشغَف كبيرين، ثم تبعه بالبودينج مع العسل الأسود، ثم أضاف القليل من الجبن، من نفس نوع الجبن الباهت الصلب الذي كان يحبّه؛ ذلك الجبن الأحمر، كما كان لديه أيضًا ثلاث شرائح كبيرة من خبز الخباز الرمادي، وشرب كوب بيرة كاملًا!

ولكن يبدو أنه لا يوجد ما يرضي بعض الناس هذه الأيام!

- نوبات الغضب!

قالت السيدة (بولي) عند الحوض، وهي تكافح لكي تُزيل الخردل من فوق طبقه، وتحاول أن تُعبِّر عن الحل الوحيد للمشكلة التي حدثت لها.

- نوبات الغضب.

بينما جلس السيد (بولي) على مقعده، وقرر أن يكره الحياة برُمَّتِها، ثم أدرك أن ذلك كان مفرطًا وغير ملائم بوصفه حلًّا لمشكلته التي لا يعرف ما هي!

كان يكره شارع (فيشبورن هاي)، ويكره متجره وزوجته وجيرانه -مَن قال إن كل جار مبارك؟!- وبمرارة لا تُوصف، أقر بأنه كان يكره نفسه كذلك!

- لماذا دخلت في هذه الحفرة السخيفة التي لا تنتهي؟!

قالها وكل شيء يدور في رأسه.

- لماذا فعلتُ ذلك بنفسي؟

جلس خلف منصة العرض، ونظر بعيون مشوشة من أثر عيوب الإبصار الدائمة عبر واجهة المتجر، إلى عالم ذبُلَتْ فيه براعم الربيع، وكان ضوء الشمس معدنيًّا قاتمًا، والظلال في الخارج مختلطة بالحبر الأسود والأزرق.

بالنسبة للعالم الأخلاقي المثالي، يبدو السيد (بولي) كشخصية المذنب الساخط على النِّعَم، ولكن هذا لأن مِن عادة الأخلاقيين تجاهل الظروف المادية المحيطة بنا، هذا إذا افترضنا أن الوجبة الأخيرة ربما تكون ظرفًا ماديًّا محيطًا، كما في حالة السيد (بولي).

هل هو الشراب؟!

في الواقع، سينتقده مُعلِّمونا هذه الأيام مما تناوله من حيث الكمية والنوعية، لكن لا الكنيسة ولا الدولة ولا المدرسة سترفع إصبع تحذير بين الرجل وجوعه وإطعامه من قبل زوجته.

لذلك في كل يوم تقريبًا في حياته، وقع السيد (بولي) في حالة من الغضب والكراهية العنيفين ضد العالم الخارجي في فترة ما بعد الظهر، ولم يشك أبدًا في أن هذا بفعل العالم الداخلي في معدته!

إنه لأمر مُؤسف أن بعض البشر ليسوا أكثر شفافية وذكاءً، إذا كان السيد (بولي) -على سبيل المثال- شفَّافًا أو حتى شفافًا بشكل معقول، فربما كان قد أدرك أنه ليس صراعًا بشريًّا عاديًّا أكثر منه حربًا أهلية داخله هو فقط.

لا بُدَّ أن أشياء رائعة كانت تحدث يومًا ما داخل السيد (بولي).

نعم، الأشياء الرائعة التي لا تحدث الآن.

لا بُدَّ أن أجهزته تعمل مثل مدينة صناعية تُدار بشكل سيئ خلال فترة الكساد؛ المُحرِّضون، أعمال العنف، الإضرابات، قوى القانون والنظام تبذل قصارى جهدها، الاندفاع ذهابًا وإيابًا، الاضطرابات، مرسيليا، القرقعة، الرعد، المقابر.

في الحقيقة، لا نعرف لماذا تزيد الرياح الشرقية من شعور الأشخاص غير الأصحاء بالمشكلات؟ فقد جعلت الرياح أسنان السيد (بولي) تبدو مخلخلة في داخل فكه، وعلى وشك السقوط، وجلده يشعر وكأنه غير لائق على جسده، وشعره يبدو جافًّا مجعدًا.

- لماذا لا يستطيع الأطباء إعطاءنا ترياقًا للرياح الشرقية؟

قال السيد (بولي)، ثم تابع وهو يمسك بطرف شعره:

- لماذا لا تقوم أبدًا بقص شعرك حتى أصبح طويلًا جدًّا؟! يا لك من فرشاة رسام فاسدة تالفة، قرف!

وراح يحاول تسوية رأسه بيد متعجلة.

لا شيء جيد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

كان عمر السيد (بولي) بالضبط خمسة وثلاثين عامًا ونصف!

لقد كان شخصية قصيرة الطول والطبيعة، ويميل قليلًا إلى البدانة، لم يكن وجهه قاسيًا، بل كان يمتلك ملامح جيدة هادئة، لكن أنفه المتكور قليلًا جعل وجهه يبدو ساخطًا طوال الوقت.

كانت زوايا فمه مكتئبة ترتعش دائمًا، وعيناه بُنِّية بياضها أحمر اللون ونظراتها مضطربة.

كانت بشرته باهتة ومصفرة، والسبب كما أوضحنا، بسبب تلك الاضطرابات المدنية الدائرة في داخل جسده.

كان -بالمعنى التقني للكلمة- حليقًا نظيفًا، مع وجود رقعة شاحبة صغيرة من الجلد الخشن تحت الأذن اليمنى، وجرح ظاهر في الذقن، وعلى جبينه التجاعيد الصغيرة لرجل ساخط دائمًا، خاصة فوق عينه اليمنى، ودائمًا هو جالس ويداه في جيوبه، ويهز ساقًا واحدة في عصبية.

- الحفرة!

تابع من جديد هامسًا لنفسه.

راح يؤرجح ساقه وهو يدندن الكلمات بلحن ساخط:

- حفرة بغيضة سخيفة.. حفرة مُقزِّزة سخيفة.

ازداد صوته غضبًا، ثم راح يزيد على الكلمات ألقابًا وشتائم قبيحة لا مجال لذكرها هنا.

كان يرتدي معطفًا أسود رثًّا، وربطة عنق، والتي كانت جديدة لامعة وغنية بالألوان، اختِيرت لتشجيع العملاء وتحفيزهم! وكان يرتدي حذاءً جلديًّا بُنِّي اللون؛ لأنه كان يكره الأحذية السوداء.

ربما بعد كل شيء لم يكن مجرد عُسر الهضم هو الذي أزعجه.

خلف المظاهر السطحية المملة لكينونة السيد (بولي)، تتحرك مشاعر أكبر وأكثر غموضًا، فقد ترك التعليم الابتدائي المحدود الذي حصل عليه انطباعًا بأن الرياضيات كانت علمًا محبطًا، ومن الأفضل تجنبه في الحياة العملية، ولكن حتى عجزه عن تنظيم دفاتر الحسابات والعجز التام عن التمييز بين رأس المال والفائدة لن يعميه أبدًا إلى الأبد عن حقيقة صريحة!

المحل الصغير في (هاي ستريت) لم يكن يُدِرُّ أي دخل، ومع عدم وجود عوائد، وتضييق فوائد الاقتراض عليه لم يعُد لديه قُدْرة حتى على تمثيل الابتسام والترحاب.

قد ينشغل المرء في الصباح بعد الإفطار، وفي فترة ما بعد الظهر بعد تناول الشاي، وينسى تلك السحابة السوداء الهائلة من الإفلاس والضيق، والتي تجمَّعت وانتشرت أمام عينيه، لكنها كانت جزءًا لا يتجزأ من روتين فترات ما بعد الظهيرة هذه، هذه المساحات الرمادية من الوقت بين الوجبات،

عندما يكون الإنسان قد فقَدَ شجاعة التجاهل، فتبدو الحياة أمامه كأنها هيكل عظمي منزوع من اللحم، ميئوس منها وغير ذات نفع.

اسمحوا لي أن أحكي لكم تاريخ السيد (بولي) مِن المهد وحتى تلك اللحظة الصعبة.

أولًا: الرضيع.. يبكي ويتقيأ بين يدي الممرضة.

كان هناك وقْت ما في الماضي يظن فيه شخصان أن السيد (بولي) الرضيع هو الشيء الأكثر روعة وجمالًا في العالم، وقد قبَّلا أظافر أصابع قدميه، قائلين:

- ميام ميام، وتعجبوا من النعومة الرائعة لشعره، وتنازعا حول ما إذا كان الصوت الذي أصدره هو مجرد - دا دا، أم أنه قال - بابا عن قَصْد.

كانا دائمًا ما يُحمِّمانه ويهتمانِ بأدق تفاصيله، ويلفانه في بطانيات ناعمة ودافئة ويخنقانه بالقبلات.

عاش وقتًا ملكيًّا فريدًا.

كان ذلك قبل أربعة وثلاثين عامًا؛ كان يأمر فيُطاع، ويعيش في رفاهية رعناء بلا حساب، على النقيض تمامًا من الوضع الحالي للحياة.

كان هذان الشخصان يُقدِّسانه من تاج رأسه إلى باطن قدميه الرائعة، وقاما بإطعامه بطريقة غير حكيمة؛ لأن والدته لم تكن تعلم أي شيء عن ألغاز تربية الطفل -بالرغم من أن الممرضة الشهرية قد أعطت بعض النصائح القيمة- وبحلول عيد ميلاده الخامس، كان قد بدأ يكتشف الحياة ويتساءل عما يحدث حوله.

ماتت أمه وهو في السابعة من عمره.

عندما بدأ تعليمه، بدأت ذكرياته في التكون، وبدأ يشعر بذاته.

أتذكر أنني رأيت صورة لأحد فصول التعليم في مكان ما، وأظن أنه كان تعليمًا جيدًا، لكن من المتصور تمامًا أنه يمثل تعليم الإمبراطورية لأبنائها، ولديَّ انطباع قوي بأنها ربما كانت لوحة جدارية على بعض المباني العامة في مانشستر أو برمنغهام أو غلاسكو، لكن من المحتمل جدًّا أنني مُخطِئ في ذلك.

كانت اللوحة تُمثِّل امرأة مجيدة ذات وجه حكيم، لا يعرف الخوف ينحني فوق تلاميذها، ويوجههم إلى آفاق بعيدة.

أظهرت السماء الدفء اللؤلؤي لفجر الصيف، وكانت اللوحة مُشرقة بشكل رائع كما لو كانت تُمثل أمل الأطفال الجميل في المستقبل. كانت تخبرهم -كما شعرت- بآفاق الحياة العظيمة التي ستُفْتَح أمامهم، وروائع البحر والجبال التي قد يسافرون ويرونها، والمهارات التي قد يكتسبونها، والفخر بما سيحققونه من إنجازات.

ربما همست عن سِرِّ الحب الدافئ المنتصر الذي يأتي أخيرًا لأولئك الذين لديهم صبر وقلوب لا تشوبها شائبة، كانت تُذكِّرهم بتراثهم الإنجليزي العظيم، حُكَّام أكثر من خُمس البشرية، والعمل الذي تحتاج إليه مثل هذه الإمبراطورية العظيمة، تراث النبل والقيم والفروسية!

في الواقع، لم يتبّع تعليم السيد (بولي) هذه الصورة، فقد ذهب لبعض الوقت إلى مدرسة وطنية، والتي كانت تدار على أسس اقتصادية شديدة للحفاظ على المصروفات، وعيَّنت موظفين غير مُدرَّبين إلى حد كبير، ولم يكونوا مهيأين لنقل هذه الصورة الجميلة إلى الطلاب.

مدرسة فقيرة، تنشغل بقراءة التعليم المسيحي الصارم والكتاب المقدس بأقصى قدْر من الفقر المعرفي، والتجاهل الكامل لقواعد الاحترام والالتزام التعليمي، وإعطاء دروس حول أختام الشَّمْع وديدان القز وحشرات البطاطس والزنجبيل والحديد، وما إلى ذلك من أشياء، ودرس مواد أخرى على هذه الشاكلة عديمة القيمة، وبعد ذلك، عندما كان في الثانية عشرة من عمره، نقله والده إلى مدرسة خاصة ذات فصول قذرة، يدرس كتابة الكلام ويستخدم لوحًا نحاسيًّا قديمًا وأقلامًا صدئة، ولا يهتم بأي علوم أو دروس سوى الكتابة، وبعض من اللغة الفرنسية التي فشل (بولي) في تعلُّمِها.

ذهب السيد (بولي) إلى المدرسة الوطنية في السادسة، وترك المدرسة الخاصة في الرابعة عشرة، وبحلول ذلك الوقت كان عقله في نفس الحالة التي ستكون فيها -عزيزي القارئ- إذا أُجْرِيَت عملية جراحية لك من أجل التهاب الزائدة الدودية بواسطة صبي جزار يعمل لساعات إضافيةَ ويتقاضى أجرًا بخسًا، ولا يعرف كيف يخيط جرحًا.

ببساطة، كان في فوضى عارمة.

كان فضول الطفل الصغير اللطيف ورغباته في حالة مختلطة ومربكة، وفقد السيد (بولي) الكثير من الثقة فيما يتعلق بالعلوم واللغات وإمكانيات تعلم الأشياء، فلم يعُد يفكر في العالَم الحالي على أنه أرض عجائب للتجارب، بل مكان مُعقَّد جغرافيًّا وتاريخيًّا، وتكرارًا للأسماء التي يصعب لفظها، وقوائم بالمنتجات والسكان والارتفاعات والأطوال، وقوائم وتواريخ.. أوه! ملَلَ لا يُوصف!

بل وظن أن الدين هو سرد لكلمات غير مفهومة إلى حد ما يصعب تذكرها، وأن اللاهوت هو كائن لا حدود له، له طبيعة مدير المدرسة، ويضع قواعد لا حصر لها، وقواعد غير معروفة، تُفْرَض دائمًا بلا رحمة، وبقدرة لا نهائية للعقاب، والأكثر فظاعة من كل ما يمكن التفكير فيه! صلاحيات لا حدود لها.

لم يكن متأكدًا من تهجئة ونُطق معظم الكلمات في لساننا الجميل -وهذا أمر مؤسف- لأنه في ظل ظروف أكثر سعادة كان من الممكن أن يستخدمها جيدًا.

كان دائمًا متشككًا فيما إذا كان الرقم ستة وثلاثون هو سبع ثمانيات أو ثماني تسعات، لم يكن يعرف أي طريقة سهلة لتقسيم الأرقام، ولم يكن يفرق بين ذاهِب إلى ويذْهَب إلى..

ضجر وملَل لأبعد الحدود!

لكن عسر الهضم في العقل والجسد الذي لعب دورًا كبيرًا في حياته المهنية اللاحقة، كان لا يزال في البداية. كبده وعصارته المعدية وعجبه وخياله استمروا في الكفاح ضد الأشياء التي تُهدِّد بتعكير صفو الروح والجسد معًا.

بينما خارج المناطق التي دمرتها المناهج الدراسية، كان لا يزال فضوليًّا بشدة.

كانت لديه مراحل جيدة في حياته العملية، وقرابة ثلاثة عشر عامًا اكتشف فيها فجأة القراءة وجمالها.

بدأ يقرأ بنَهَم القصص وكتب الرحلات والمغامرات، كما أنه راح يجمع -بشكل غير منتظم- إعداد واحدة من تلك الصحف الأسبوعية الملهمة التي اعتاد الأشخاص البليدون على تسميتها (الصحف الرخيصة)، تلك المجلات الأسبوعية الرائعة الممتلئة بالخيال مثل الكوميديا والمغامرات، والتي حلَّت القصص المصورة للأطفال محلَّها اليوم.

في أعماق كيان السيد (بولي)، في أعماق هذا الظلام، كان مثل مخلوق تعرَّض للضرب على رأسه وتُرِكَ ليموت لكنه لا يزال حيًّا، وراح يزحف باقتناع نحو الظلام، تاركًا كل الأشياء المُبهجة، وتلك الجمَل على شاكلة (كل شيء على ما يُرام) و(كان هناك جمال، كان هناك فرحة)، ولكن، ربما في مكان ما، هناك شيء ما، لكن، يتعذر الوصول إليه بطريقة غير سحرية، ولكنه يعرف أنه لا يزال في مكان ما، كانت هناك أشياء سهلة ومُبهجة للجسد والعقل.

كان يقرأ حِكايات عن الصيادين والمستكشفين، ويتخيَّل نفسه يركب الفرس، ويركض مثل الريح عبر مروج أمريكا الغربية، أو يأتي كرجل أبيض فاتحًا ومحبوبًا إلى القرى المحتشدة بالبدائيين في وسط أفريقيا.

رأى نفسه يُطلق النار على الدِّبَبة بمسدس، وهو مُمسك بسيجارة في اليد الأخرى، ويصنع عقدًا من أسنانهم ومخالبهم لابنة زعيم القبيلة الصغيرة الجميلة، كما أنه قتل أسدًا برمح مُدَبَّب، وطعن قلب الوحش وهو يقف فوقه منتصرًا.

كان يظن أنه سيكون من الرائع أن يكون غوَّاصًا وينزل إلى أسرار البحر الخضراء الداكنة.

قاد المعارك ضد الحصون المنيعة، ومات على الأسوار لحظة النصر.

(كان قبره يُسقى بدموع الأمة).

لقد صدم ونسف السفن، واحدة مقابل عشرة.

كان محبوبًا من قبل الملكات في الأراضي البربرية، وهدى أممًا بأكملها إلى الإيمان المسيحي.

اكتشف غابات الأمازون، ووجد صخرة من ذهب، مكشوفة حديثًا بعد سقوط شجرة باسقة كانت تخفيها.

من خلال هذه الخيالات الطافحة مِن قلب المجلات والكتب، كان يهمل العمل الذي يقوم به، ويجلس ليقرأ بلا أي اهتمام بما يدور حوله؛ مما أغرى معلمه العجوز الرجعي لضربه على... إحم..! كتفه، ومُصادرة كتبه مرتين!

عند تذكره لوقائع الحياة الماضية، كان يتنهد بعُمْق حسب المناسبة، ويستأنف محاولاته للكتابة على اللوحة النَحاسية.

كان يكره الكتابة، وكان الحبر دائمًا يتسلَّل إلى أصابعه ورائحة الحبر تُزعجه، وكان ممتلئًا بالشكوك غير المُعلنة. لماذا يجب أن تتحدر الكتابة من اليسار إلى اليمين؟ لماذا يجب أن تكون الضربات السفلى غليظة وضيقة؟ لماذا يجب أن يشير مقبض القلم إلى الكتف الأيمن؟

لماذا كل هذه القواعد؟!

كانت كراساته وكأنه تنبأ بمصيره، وهي تتزين برسائل لوالده.. سيدي العزيز، نرجو منك أن.. كذا وكذا.. وأن ابنك كان.. كذا وكذا.

أُنْهِي هذا الضغط على عقل وروح السيد (بولي) في المؤسسات التعليمية فجأة من قِبل والده بين عيد ميلاده الرابع عشر والخامس عشر.

قال والده، الذي نسي منذ فترة طويلة الوقت الذي بدَت فيه أطراف ابنه الصغيرة جاءت مباشرة من يد الله:

- لقد حان الوقت الذي يفعل فيه الصبي المثقف شيئًا من أجل لقمة العيش.

وبعد شهر أو نحو ذلك، بدأ السيد (بولي) تلك المهنة التي قادته أخيرًا إلى الملكية الفردية شبه المُفلسة لمتجر لبيع الملابس المتهالكة، وإلى تلك المنصة التي يجلس خلفها الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

لم يكن السيد (بولي) مُهتمًّا بشكل طبيعي بالجوارب والمعاطف وتجهيز السادة المنمَّقين، في الواقع لو شِئنا الدقة، كان في بعض الأحيان يحث نفسه على إبداء فضول زائف حول تلك التجارة، فقد تدرَّب في واحدة من تلك المتاجر الكبيرة، التي تبيع كل شيء، من البيانو وأثاث المكاتب، إلى القبعات والخيوط والإبر، متجر مُتعدِّد الأقسام في الواقع، كان يُدعَى (بازار بيردوكيان) الكائن في بورت بيردوك، إحدى البلدات الثلاث التي جُمِّعَت حول أحواض بناء السفن البحرية في ميناء بيردوك.

بقي هناك ست سنوات، وقضى معظم الوقت غافلًا عن العمل، منشغلًا بأفكاره الخاصة.

إجمالًا، كان (بولي) يُفضِّل العمل على المدرسة.

كانت الساعات أطول لكن التوتر في العمل لم يكن بهذه القوة التي كان يُواجهها في المدرسة، فالمكان أفضل تهوية، ولا يمكن احتجازك في غرفة عطنة مُظلمة بلا أي سبب، ولن تُضْرب كفوفك وأردافك بالعصا لأنك -من وجهة نظر شخص ما- أخطأت في شيء لا تعرفه!

شاهد (بولي) نمو شاربه الرفيع باهتمام شديد، وأتقن بعض المهارات الاجتماعية، وأصبح يبتكر أشياء مُسلِّية يقولها للزبائن على سبيل التودد، بل وأصبح قادرًا على شراء ملابسه من راتبه الزهيد، وأصبح له مصروف جيب، كما أن هناك فتيات لم يرَ مثلهن في المدرسة أو الشوارع المحيطة بمنزله من قبل.

- في الواقع، لم أدَّخر الكثير من المال في هذه الفترة. قالها السيد (بولي) لنفسه متذكرًا.

في البداية، كان يعيش في سكن المتدرِّبين؛ وهو عبارة عن غرفة مُعتمة طويلة بها ستة أسِرَّة وست خزانات من ذوات الأدراج، كما أن بالسكن غرفة طعام طُلِيت حوائطها بلون أصفر واكتست طاولاتها بمفارش مُربَّعة من طراز أمريكي مرِح، بل وبالسكن غرفة للتدخين تفتح بعد التاسعة مساء.

كان يحاول من وقت إلى آخر أن يُلاطف فتاة شقراء تعمل في قسم الخردوات المجاور لقسمه، لكنه لم يتعدَّ محاولة الملاطَفة الخجولة وكلمات (صباح الخير) المُشبعة بنظرات خجولة.

كان هذا كل ما حاول فعله، لكنه لم يصل أبدًا إلى مستوى صديقيه (بلات) و(بارسونز).

كان ثلاثتهم يُكوِّنون مجموعة لطيفة تبدأ كل أسمائهم بالحرف (بي)، وقد خرجوا كثيرًا معًا إلى الحانات لتناول المشروبات أحيانًا، ثم يتمشون بطول رصيف الميناء وهم نصف سكارى، بينما (بارسونز) -ذو الصوت المقبول نوعًا- راح يُغنِّي بصوت أجش، أغاني عن الجنود المحاربين والجدود الأوائل والأمجاد الحاضرة.

كان (بارسونز) عضوًا في جوقة الكنيسة؛ لذا فقد كان يتقن الغناء بشكل جميل، لكن (بولي) كان يظن أن غناء الكنيسة ما هو إلا (ضجيج مُنغَّم لا يؤثر في أي قلب)، لكن غناء (بارسونز) كان أحيانًا ما يكون مرحًا وخارجًا عن ما ألفه (بولي) في طفولته.

كانوا يذهبون أحيانًا إلى الأحياء السكنية الهادئة الراقية في بورت بيردوك، ويغنون بصوت مرتفع مزعج، بينما رجال الشرطة يُلاحقونهم وهم يركضون هاربين في سعادة، وحتى الكلاب الأيرلندية الضخمة التي حاولت في إحدى المرات عض ثلاثي (البي) المشهور، لكنها لم تصل أبدًا لمبتغاها.

كان (بلات) أبيض الوجه داكن الشعر، ويميل إلى الحزن والغموض وإثارة الفضول، بينما كان (بارسونز) ذا بناء جسدي أكبر، سمين وضخم الجسد له شعر مُجعَّد بُنِّي وأنف كبير يشبه الفقاعة المتجمدة.

لكن (بارسونز) كان ذا اهتمام كبير بالأدب، وذا ذاكرة قوية؛ فقد كان يحفظ أجزاء كبيرة من أعمال (شكسبير) و(جون ميلتون) عن ظهر قلب، وكان يتلوها بصوت مرتفع جهوري عندما يتحداه أحدهما!

قرأ (بارسونز) كل ما يمكنه الحصول عليه، وإذا أعجبه شيء، قرأه بصوت عالٍ، غير مهتم مَن أحبها لو لم يحبها. في البداية، كان السيد (بولي) يشكك في جدوى قراءة تلك الأدبيات القديمة، لكنه مع ضغط (بارسونز) وإلحاحه كان يقرأ أحيانًا، بل وقد وافق على الذهاب مع البقية لمشاهدة (روميو وجوليت) في مسرح بيردوك الملكي، وراح يراقب لوحة الدعاية للعرض المسرحي وهو منبهر متلاحق الأنفاس.

لأسابيع طويلة، أضاءت كلمات (شكسبير) حياة السيد (بولي) المراهق، وراح يُجرِّب كيف سيمشي لو كان يحمل سيفًا إلى جانبه، وراح يسير في شوارع بورت ميردوك القاتمة الطينية وهو يبحث عن الشرفات التي ستظهر من إحداها (جوليت)، وعيناه تحلمان باللقاء الخيالي في رومانسية.

في أحد الأيام، اكتشف (بارسونز) كاتبًا إيطاليًّا -لا يتذكر (بولي) اسمه الآن- وراح يقرأ عليهم كلماته، حتى إن (بول) راح ينادي نفسه بـ (بوشاشيو)، وأصبح حديثهما ممتلئًا بكلمة (أمور) أي الحب، و(بولي) يقف في أوقات الراحة مُرتديًا جوربه بعد أن يحشيه بالورق ليصبح شبيهًا بنبلاء فيرونا، وهو يتخيل جولاته تحت أشجار الزيتون الداكنة في سطوع الشمس الأبدي لإيطاليا.

زملاؤهم في السكن المنتمين إلى جمعية الشبان المسيحيين، لم يُعجبهم ذلك كثيرًا، لكن الثلاثي طالما ما عاملوهم بتحدٍّ شديد، وردوا كلماتهم بلهجة تهكُّمية ساخرة.

- لدينا الحق الكامل في أن نفعل ما نحب في زاويتنا من الغرفة. قالها (بلات) في تحدٍّ مُكملًا:

- فأنتم تفعلون ما تحبون في زاويتكم.

- لكن تلك اللغة المائعة المنحلة اعترض (موريسون)، الشاب الذي سيتحول مباشرةً إلى (الأب موريسون) قريبًا من فرط إخلاصه للتدين.

- ماذا في اللغة؟ ها زأر (بارسونز) في غضب:

- إنه أدب يا صاح، أدب.

- ستبدأ الآن أهوال الجدل الديني. قالها (بولي) لنفسه في خُفوت.

اشتعلت نار الإدانة في عيون (موريسون)، وراح يصيح، ويتكلم بصوت قوي مؤمن بما يقول، فقد كان مؤمنًا بما يفعله بشدة، حتى إنه من فرط إيمانه برحمة المسيح غسل قدمي أحد المتدربين الصغار، وراح يُطيِّب خاطره، ويُهوِّن عليه حنينه إلى بيته.

كان دءوبًا وحنونًا على الجميع، قوي الشكيمة واللسان، لكنه كان مشبعًا بالفكرة حتى إنه لم يقدر يومًا على سماع شيء عكسها.

الأخ (بلات) -الذي كان يعاني أشياء لا يستطيع عقله تدبرها- قال في هدوء:

- الأب (موريسون) منافق يدَّعي الفضيلة.

فقال (بارسونز) مُعترضًا:

- إنه ليس منافقًا، ليس منافقًا يا صاح، إنه لا يرى إلا ما يريد أن يراه فقط.

ثم نظر نحونا والإثارة تملأ عينيه قائلًا:

- لماذا لا نذهب إلى رصيف الميناء، ونتسلى بمشاهدة بعض القادة القدامى، وهم يسكرون ويمرحون.

- إذن دعني آتي بغليوني وأنظِّفه. قالها (بلات) -الذي بدأ يدخن كثيرًا مؤخرًا- ثم انطلق ثلاثتهم في رحلة إلى رصيف الميناء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

كانت أيامًا مرحة من الرفقة

أيام لم يكن يهتم فيها أحدهم بذلك الإفلاس الذي يزحف نحوهم.

لم تعُد ساعات عمل البازار كما كانت منذ فترة طويلة، صارت الأيام تمر بسرعة، وبلا أي جديد يُذكر، في انتظار الأيام المرحة.

كانت أيام الآحاد والعطلات تتلألأ كالألماس بين الحصى، تتلألأ وكأنها ماء رائق يعكس ضوء الشمس.

(بارسونز) يقرأ مِن جديد، ويكتشف ذلك المخبأ بين السطور، ويحكي عن تلك الأمور الغامضة عن (بهجة الحياة).

كانت هناك بعض المغامرات الرائعة في عطلات البنوك، فتبدأ مجموعة (المغاوير الثلاثة) صباح يوم الأحد مبكرًا في رحلاتها، وتبحث فيها عن غرفة في فندق متواضع، وتُغنِّي طوال الليل، أو ترقص تحت النجوم مساء يوم الإثنين.

كانوا يأتون من فوق التلال من ناحية الريف الإنجليزي السارة التي تجولوا فيها، ويرون (بورت بردوك) الواقعة في الأسفل، شبكة مِن مصابيح الشوارع المتشابكة وأضواء الترام المتنقلة تقف ضد ضخامة مياه المرفأ التي كانت تعكس ضوء المنارة الدائم.

كان (بارسونز) يقول:

- هيا نرجع إلى الياقة يا رجل. كان يُسمَّى ذلك السكن المعتم بـ(الياقة)، وكأنه يُغلق الطريق إلى اكتشاف باقي الحياة.

قال (بلات) مُغتمًّا:

- لا تذكر الياقة الآن.

وبمجرد حصولهم على قارب وتمكُّنهم من التجديف عبر الصخور المصطفة نحو الميناء الحجري العملاق يتنازعون في أمور صبيانية لطيفة.

كان من الجيد لفريق (ثلاثي البي) أن يمشوا عبر هذه الأرض الواسعة الخضراء المزينة بالتلال، وأن ينسوا لبعض الوقت أن هذه الأراضي ليست لهم، ولا قدم لهم فيها، وأنهم محكوم عليهم أن يجلسوا وراء صناديق الحسابات في أماكن مثل بازار بورت بوردوك لأفضل فترة في حياتهم.

كانوا ينسون الزبائن والمتسوقين ومديري الأقسام، وكل شيء، ويصبحون مجرد تائهين سعداء في عالم النسيم اللطيف والطيور الغنائية والأشجار المظللة.

كانت العودة إلى السكن تبدو أمرًا بعيدًا للغاية، وكل ما يشغل رأسهم الآن هو نوع اللحوم المتوفر على الغداء، وشكل الفتاة التي تخدم في البار، وأخلاق العجوز صاحبة الفندق الصغير.

اللحظات المجيدة من النوم فوق أسِرَّة وثيرة، والتحديق إلى العالم الواسع، وحركة الأوز على العشب الأخضر، وبِركة البط، وبرج الكنيسة، والقطة النائمة، والسماء الزرقاء، ورائحة اللحم المقدد!

وفي الخلفية، يأتي من بعيد صوت وقع الأقدام على الأرضية الخشبية المهترئة للبازار؛ وصوت النقر والتشويش من صناديق المحاسبة.

- أبيض أم أسود؟، - قماش!، - جاهز يا سيدي!، - مستعدون يا سادة، - إلى الأمام يا بولي! مع نظرة حادة من عيني المدير.

دخول، خروج، حركة السكن ورائحة العطن..

- لا تضعوا كل الخبز على الطاولة.

- لا ترموا بالقشور جميعها.

ثم يتناسون كل هذا، ويعودون إلى رائحة اللحم المقدد.

في إحدى المرات، بقيت فتاة بسيطة في فستان وردي اللون تتحدث إليهم وهم يأكلون؛ وبقيادة (بارسونز) الحالم، فكر ثلاثي الشجعان في أنهم جميعًا يحبونها بيأس، وطلبوا منها أن تقول لأي منهم: تفضل، وهي في حيرة من أمرها، حتى ناداها صوت من أمها الجالسة في طرف المطعم.

بعد ذلك، وبينما هم يغادرون الفندق، كانت تقف عند زاوية البستان وتعطيهم التفاح الأصفر والأخضر، وتمنَّت أن يعودوا يومًا ما.

وبعدها، وهم يغادرون البستان أمام الفندق، انصرفوا وهم يلوحون بمناديل بيضاء، وبقية ذلك اليوم اختلفوا حول علامات رضاها، ويوم الأحد التالي، ذهبوا إلى هناك مرة أخرى.

ولكنها اختفت، لم تكن هناك في الفندق.

إذا عاش (بلات) و(بارسونز) والسيد (بولي) مئة سنة، فلن ينسى أي منهم تلك الفتاة وهي تقف أمام باب الفندق البسيط في فستان وردي اللون، مبتسمة بشكل هادئ وجاد في الوقت نفسه، تمسك التفاح في يدها، وكأنها تمسك بأرواحهم.

وبمجرد أن مشوا على طول الساحل يراقبون البحر في ضوء الشمس الساطع، وصلوا أخيرًا إلى فيشبورن، الضاحية الشرقية من برايلنج وهمبستيد على البحر.

وقد بَدَتْ فيشبورن مكانًا صغيرًا مرحًا جدًّا بالنسبة للسيد (بولي) بعد ظهر ذلك اليوم، فقد كان لها شاطئ رملي نظيف بدلًا من الطين والحصى والعوارض الفولاذية في بورت بردوك، وهناك صف من ست كبائن استحمام، وفندق صغير يقع بين صفوف من الفيلات اللطيفة وبِنايات صغيرة توفر الشقق المفروشة.

قال (بلات) وهو يُخرج الدخان من غليونه الكبير:

- مكان صغير جميل للعمل.

ومِن ساعتها، علق هذا المكان في ذاكرة السيد (بولي) إلى الأبد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

لم يكن السيد (بولي) شابًّا خلابًا لافتًا للنظر مثل (بارسونز)، فقد كان يفتقر إلى الثراء في صوته، وكان يدور في تلك الأيام وقد وضع يديه في جيوبه ويبدو متأملًا بهدوء للحياة وللناس.

كان يحب استخدام الألفاظ العامية، ولا يستعمل الإنجليزية السليمة، وكأنه يلعب دور المضاد لصديقه (بارسونز)، وأحب الكلمات الغريبة الممتلئة بالإيحاء والعبارات الصادمة الخارجة عن المألوف.

لم يمنحه التدريب المدرسي أي حب أو اهتمام بعلامات الترقيم والنطق السليم للغة الإنجليزية، ولم يمنحه كذلك أي ثقة في نفسه؛ فقد كان مدرسة غير سليم من الناحية العقلية ومتقلب المزاج لأبعد الحدود، وهو ما لم يحبه (بولي)، ولكن على الرغم من ذلك فإن الكلمات الجديدة التي يتعلمها دائمًا كانت تحمل في طياتها الرعب والافتتان؛ لم يتعلمها جيدًا، وكذلك لم يستطع تجنبها، فانغمس فيها، وكان حكمه الوحيد أن لا تضلله التهجئة السليمة من غير السليمة. هذا لم يكن دليلًا على أي حال.

تجنب (بولي) كل جملة معروفة في اللغة، وتلفَّظ بكل شيء بطريقة خاطئة حتى لا يشك أحد في جهله، بل يشكون في هوايته الغريبة في تغيير الكلمات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثاني
طرد (بارسونز)

(1)

فجأة، طرد (بارسونز) نفسه، وقرر الرحيل.

لقد طرد نفسه في ظرف غريب، وقد ترك انطباعًا عميقًا في عقل السيد (بولي)، وتساءل عن ذلك لسنوات بعد ذلك، محاولًا الحصول على تفسير لهذا الأمر.

انتهى تدريب (بارسونز)؛ فقد كان قد وصل إلى مرتبة بائع دائم، وجلس أمام نافذة قسم مانشستر. فبكل المقاييس الرسمية كان (بارسونز) جيدًا جدًّا في إدارة القسم، وكان يمكنه القول بكل ثقة:

- أنا أدير قسم مانشستر.

وعندما كانت هنالك مشكلة قيد المناقشة كان يظن أن (العناكب الصغيرة) -اسم البائعين المحدثين كما يسميهم السيد (جارفيس)، الشريك الأكبر والمدير الإداري للبازار- كانت الإدارة ستفكر مرتين قبل أن تتخلص من الرجل الوحيد في المكان الذي كان يمكنه أن يكسب البازار ثروة من بضائع قسم مانشستر.

ثم مثل العديد من الزملاء الفنانين أمثاله، وقع فريسة النظريات.

- إن فن إدارة الأقسام ما زال في مرحلة الطفولة يا صاح، متوازن نعم، لكنه جامد وغير متطور مثل صورة على معبد مصري قديم، لا فرح فيه ولا بهجة.

قال (بارسونز) مُدعيًا الحكمة، ثم تابع:

- ما زال فنًّا تقليديًّا، لا يركز على أهم شيء؛ جذب الناس نحو القسم، جذبهم طوال الوقت.

ثم يتحوَّل صوته إلى بحر عميق قد تغرق فيه وهو يتابع:

- فهل ينجذبون؟

ثم بعد وقفة قصيرة يهدر بصوت جهوري:

- بالطبع لا.

فقال (بولي):

- لديه فكرة ما على ما يبدو، استمر يا رجل؛ فلنأخذ المزيد منها.

فيتابع (بارسونز):

- انظروا إلى نوافذ الملابس الخاصة بـ(موريسون) القديمة! نظام، ذوق، ربما تمنح نافذة مانشستر شيئًا أحدث، لكنها قاتمة يا رجل، قاتمة.

- قاتمة! ردَّد السيد (بولي).

مُجرَّد قطع من الأشياء في صفوف، صفوف من الأشياء الصغيرة المرتبة، ربما تكون جوارب أو ملابس داخلية أو رُبما أوشحة، أو ربما أصفادًا ملفوفة.

قال السيد (بولي):

- كما في الكنيسة.

فقال (بارسونز):

- يجب أن تكون النافذة واجهة مثيرة؛ ينبغي أن ترى نافذة عرض القسم فتصرخ، واو، عندما تراها.

توقف (بارسونز) عن الكلام، بينما كان (بلات) يُراقبه من خلف غليونه.

قال السيد (بولي) مُعقبًا:

- روكوكيو.

فقال (بارسونز)، بصرف النظر عن تعليق (بولي):

- نريد مدرسة جديدة لترتيب نوافذ العرض.

ثم عقب:

- مدرسة جديدة! مدرسة بورت بوردوك، ربما يجب أن نضع تمثالًا ونعرض عليه الأغراض مثل شوارع فيتزالين.

ثم انخفض صوته إلى نغمة عميقة:

- لقد كنت خجولًا يا رجل، لقد حملت نفسي الكثير، وأبخست حق نفسي كثيرًا يا رجل، لكن الآن، كل هذا قد انتهى.

- انتهى.

تابع (بولي) مُرددًا.

فقال (بارسونز) بصوته الجهور:

- انتهى إلى الأبد يا رجل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

في أحد الأيام، جاء (بلات) إلى (بولي)، الذي كان يعد صناديق رابطات العنق.

- ذلك الرجل بدأ في تفعيل ما قاله في نافذة عرضه.

- أي نافذة؟

رد (بولي) مُندهشًا!

- ما قاله. أجابه (بلات) بلا اهتمام.

تذكر (بولي) حواره مع (بارسونز).

تابع عمله في العد بعين واحدة وعينه الأخرى على مديره، السيد (مانسفيلد)، والذي استُدعي فجأة إلى قسم الحصر والعد.

وفجأة، ترك ما بيده، وانطلق خارجًا من قسم الحصر دون أن يلاحظه مديره، وعبر الشارع ملتفًّا حول البازار، ثم اتجه مسرعًا إلى نافذة عرض قسم بضائع مانشستر.

وقف يراقب (بارسونز) وعلى وجهه أمارات الفرحة والفزع والقلق معًا.

كان (بارسونز) قد خلع معطفه، وكان يعمل بقوة وحماس، ويُمرِّر أصابعه من خلال شعره، ثم يتحرك بكل حماسة كرجل مُلهم.

كان قد صنع طريقة جديدة للعرض من بطاطين مطوية، وبعض أوشحة الرقبة، ومن خلالها مرَّر منشفة ملفوفة عليها ورقة، وكل ما كتب على الورقة عبارة واحدة (انظر).

هرع (بولي) إلى داخل البازار، وما إن بلغ قسم الحرائر حتى وجد (بلات) أمامه يمارس عمله من جديد.

- هل رأيت تلك الألواح في الخارج داخل نافذة العرض؟ قال (بلات).

- لا، لم أستطع، لم يكن عندي وقت. ثم هرع مُسرعًا من جديد عبر الطرق الملتوية عائدًا إلى قسم الحصر والتجهيز.

كان الفضول يقتله ليرى بقية ما فعله (بارسونز)، وفكر جديًّا، هل يعبر لقسم مانشستر من جديد من داخل المتجر متسللًا، أم يتسلل من جديد عبر باب الشارع ليشاهد كل شيء بوضوح؟

وعندما اتخذ قراره واقترب من باب الشارع، سمع صوت (مانسفيلد):

- إلى أين تظن أنك ذاهب يا بولي؟

- قضاء حاجة وبعض ال.. و....

ثم تركه يحاول الحصول على تفسير مِن تعبيرات (بولي) العامية، بينما انطلق (بولي) إلى النافذة.

- بارسونز يستحق المخاطرة.. (بارسونز) يستحق. قالها (بولي) لنفسه وهو يتخذ المنحنى نحو نافذة العرض.

كان (بارسونز) قد صنع كومة ضخمة متناظرة من البطانيات البيضاء والحمراء السميكة الملتوية والملفوفة لإبراز ثرائها الصوفي، وجعلها مكدسة في فوضى شبه منظمة، مع لوحة منقوشة بأحرف حمراء مشتعلة - راحة دافئة.. بأسعار مخفضة - تمدد واحتضن بأقل من التكلفة.

بغضِّ النظر عن ضوء النهار، كان قد أشعل الضوء الكهربائي على هذا الجانب من النافذة ليعكس وهجًا دافئًا على الكومة، وخلف الكومة، سعيًا وراء الكآبة المتناقضة ليظهر جمال ما فعله، كان الآن يعلق شرائط طويلة من الحرير الرمادي وقمصان الكتان الغامقة.

اقتحم (بولي) المتجر من جديد، واتجه إلى قسم الحرائر، حيث كان (بلات) يعمل من جديد بجد، وقال رافعًا صوته:

- راحة دافئة بأسعار مخفضة؛ أي فكرة ملعونة!

قال مقطع جملته الأخير بتعبير عامي وقح، ثم انطلق عائدًا عبر مسارات المتجر ناحية عمله في قسم الحصر.

كان يتشوق لمزيد من استراق النظر، لكنه لم يجرؤ على النزول إلى الشارع للمرة الثالثة، وكان يحوم بشكل محموم بالقرب من النافذة عندما رأى الحاكم السيد (جارفيس) -أي المدير العام للبازار- يسير على طول الرصيف على طريقته المتبخترة، ليؤكد لنفسه أن كل شيء كان جيدًا مع المؤسسة التي يقودها.

كان السيد (جارفيس) رجلًا قصير القامة، مع ذلك الجو شبه المتواضع -الذي يمنح الكبرياء الزائفة- الذي غالبًا ما يتماشى مع الجسد القصير الممتلئ بالعضلات، والأسلوب القاسي الحاسم.

كان أحمر الشعر أحمر الخدود، وقد نبت الشعر من طرف أنفه فصار منظره مرعبًا، وكان يغلق نصف عينه اليُسرى وهو يتحدث مع مساعده ليظهر الخطورة والأهمية.

- لا يجب أن يرى هذا الرجل ما يفعله (بارسونز)، لا يجب أن يراه، هذا مهم جدًّا.

قالها (بولي) هامسًا لنفسه، ثم..

قال للسيد (مانسفيلد) متعجلًا:

- أريد التحدث إلى (بارسونز)، يا سيدي. وهجر مكانه على عجل، واندفع عبر الإدارات المتدخلة، والسيد (جارفيس) مقدم على دخول المتجر أخيرًا، عندما لاحظ أن (جارفيس) توقَّف أمام نافذة قسم مانشستر.

- ما الذي تظن أنك تفعله بتلك النافذة يا بارسونز؟ بدأ السيد (جارفيس) كلامه بصوت رخيم مُنذر بالويلات.

لم يكن يظهر من (بارسونز) سوى ساقيه، والجزء السفلي من صدره وشبر من القميص، فقد كان يقف داخل النافذة على السلم الخشبي الصغير، مُعلّقًا آخر شريط من خلفيته الغامقة متدليًا من السكة النحاسية على طول السقف.

في الداخل، قُسِّمَت نافذة عرض قسم مانشستر بواسطة شيء يُشبه إلى حد ما قسمًا من مقاعد الكنيسة القديمة الطراز والشبيهة بدك الحدائق، ثم كان هناك حاجز مكسو بألواح، وله باب صغير مثل أبواب الحانات، وكأنه فصْل قسم مانشستر عن المتجر ذاته!

نزل (بارسونز) من على السلم الخشبي، وظهر وجهه المحمر المجهد محدقًا بعيون مستديرة في صاحب العمل.

كان على السيد (جارفيس) أن يكرر سؤاله:

- أزينها، سيدي، ولكن بطريقة جديدة.

قال السيد (غارفيس) هادرًا:

- اخرج من النافذة الآن.

حدَّق (بارسونز) فيه بلا حراك، واضطر السيد (جارفيس) إلى تكرار أمره من جديد.

بدأ (بارسونز) -بتعبير مذهول- يخرج من النافذة في بُطء.

استدار السيد (جارفيس) صائحًا على باب المتجر:

- موريسون، أين ذلك الموريسون؟

ظهر (موريسون) وهو يهرول:

- خذ هذه النافذة، وأعدها إلى شكل يليق بهذا المتجر. قال السيد (جارفيس)، مشيرًا بمجموعة من أصابعه السميكة إلى (بارسونز).

- تخلص من كل هذا الوحل، ورتبها بشكل صحيح.

تقدم (موريسون) مترددًا.

قال (بارسونز) بلُطف شديد:

- أستميحك عذرًا يا سيدي، لكن هذه نافذتي، وهذا قسمي.

قال السيد (جارفيس) متجاهلًا (بارسونز):

- خذ كل شيء للخارج يا (موريسون)، وأعد ترتيبها.

ثم استدار موليًا ظهره لها.

تقدم (موريسون)، لكن (بارسونز) أغلق الباب الصغير الفاصل بين القسم والمتجر، وأغلق القفل الصغير.

قال (جارفيس) غاضبًا:

- اخرج من عند تلك النافذة.

ثم تابع مهتاجًا بصوت جهوري:

- لا يمكنك أن تزينها كما يحلو لك، وإذا كنت تريد أن تلعب دور الأحمق من خلال تزيين نافذة بهذا الخراء فإنك...

- هذه النافذة على ما يُرام. قال العبقري في تزيين النوافذ، مقاطعًا جملة (جارفيس).

قال السيد (جارفيس) غاضبًا موجهًا كلامه لـ(موريسون):

- افتح الباب اللعين، واذهب إلى تلك النافذة الآن.

فقال (بارسونز) مُعترضًا:

- اترك هذا الباب وشأنه يا موريسون.

بينما (بولي) يختبئ خلف كومة من البطاطين الكبيرة مُراقبًا ما يحدث، والإثارة تزيد مِن ضربات قلبه المضطرب.

بينما السيد (جارفيس) يصرخ مُهتاجًا:

- أخرجوه من هنا.

كان (موريسون) يحاول التفكير في قرار مناسب، فقد كان متخبطًا بين فكرة الولاء لصاحب العمل، وبين عدم إعجابه بفكرة إخراج موظف بهذا الشكل المهين، لكنه وضع يده على الباب بينما (بارسونز) يحاول دفعها بعيدًا، فانضم السيد (جارفيس) لـ(موريسون) في محاولته كسر الباب.

وفي لحظة، خفق قلب (بولي) في عنف، عندما اختفى (بارسونز) خلف الألواح للحظة، ثم عاد حاملًا عصا معدنية رفيعة في يده، وهو يرفع يده موجهًا ضربة عنيفة لرأس (موريسون).

اهتزَّت رأس (موريسون) في عنف، لكن الضربة لم تكن كافية لمنعه من استمرار محاولاته هو والسيد (جارفيس).

وبعد لحظة انكسر قفل الباب وفتح، بينما (بارسونز) يُلوِّح بالعصا في عنف صادمًا رأس (جارفيس) و(موريسون)، فتراجع (جارفيس) ممسكًا برأسه في ذهول، بينما يصرخ (بارسونز) في غضب:

- أنا لا أستطيع تزيين نافذة لعينة، أيها العجوز النتن.

كان (بارسونز) خارجًا عن السيطرة الآن بشكل كامل.

راح (بارسونز) يضرب بعصاه دعائم النافذة في غضب وهو يسحب الشرائط والبطاطين والألواح ملقيًا بها في جنون مسرحي إلى داخل المتجر.

شعر (بولي) وكأن (بارسونز) قد كره مجهوده الشخصي الجميل عند عدم تقديره من العجوز المتحجر، وبدا كالزلزال المدمر وهو يطوح بالعصا ويحطم ما فعله.

زلزال منزوع المعطف تتدلَّى حمالات بنطاله، وتطير في الهواء وكأنها أجنحة الرخ.

بينما كان (بولي) من مكمنه يراقب ظهر العجوز (جارفيس) وهو يهتز في عنف، وصوته الجهوري يرتفع مدويًا في أرجاء المتجر.

- أخرجوا هذه الحثالة من عند النافذة، إنه خطير وقد فقد صوابه تمامًا، أخرجوه حالًا بأي ثمن.

وللحظة، طارت بطانية قرمزية فوق رأس (جارفيس)، فحجبت صوته في تأثير مُضحِك جعل جسد (بولي) يهتز كاتمًا ضحكاته.

وفي خلال دقائق، كان العديد من العاملين قد وفدوا من أقسام أخرى، بينما قفز أحد العاملين أمام (بولي) قائلًا:

- ساعده، هذا العجوز ورجاله سيفتكون به.

ثم طار مقعد صغير من مكان ما عابرًا بجوار رأس (بولي) ناحية (جارفيس) ورجاله، ففَقَد (بولي) صوابه وقفز مِن خلف كومة البطاطين، وراح يبعثرها محاولًا العثور على شيء يضرب به أو يصيب به أحدهم، وراح يُطوِّح البطاطين نحو رجال (جارفيس)، وهو يحاول المساعدة، لكن بصره لم يغِبْ لحظة عما يحدث داخل النافذة من اشتباك بين رجال (جارفيس) و(بارسونز) المهتاج.

وللحظة حوَّل بصره ناحية المتجر باحثًا عن شيء مفيد ثقيل، فسمع صوت اصطدام هائل، ثم صوت زجاج يتكسر في عنف.

وعندما التفت، كان (بارسونز) قد هزم أخيرًا، أصبح تحت سيطرة (جارفيس) ورجاله.

مشى (بولي) بخطوات بطيئة مُتردِّدة فوق المتبقي من كومة البطاطين، فوجد صديقه واقعًا على الأرض بجرح ينزف من جبهته، ويداه مُثبتتان بواسطة (موريسون) و(سوميرفيل)، وهما يجثمان على صدره.

بينما (بارسونز) يُردِّد بصوته الهادر المرهق:

- أنتم.. أنتم من تسببتم في هذا.. أنتم أزعجتموني وتسبَّبتم في هذا.. أنت أيها العجوز المأفون.

بينما راح يلهث كأسد جريح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

هناك دائمًا بعض الأحداث التي تنزع نفسها من السياق العام، وتبدو كأشياء متفردة بذاتها بعيدًا عن الطبيعة نفسها.

كذلك كانت حادثة (بارسونز).

تمزقت أقمشة حياة (بولي)، وتحتها وجد (بولي) الحزن والرعب من الوحدة.

لم تعد الحياة كما كانت، قطعة من نسيج المرح الحريري.

كان استدعاء رجال الشرطة بالنسبة لـ(بولي) وكأنه قطعة مِن مشهد تمثيل صامت، ولكنه تحوَّل إلى مشهد تراجيدي جاد عندما راحت الشرطة تسجل الإفادات والأقوال في جدية.

وفي داخل السكن تلك الليلة، كان (بارسونز) قد تحول إلى بطل.

كان يجلس على طرف فراشه ورأسه مضمدة بالأربطة، يُردِّد في إجهاد:

- كان عليه أن يترك نافذتي، لم يكن عليه أن يلمس نافذتي أو يقترب منها.

كان على (بولي) أن يذهب في الصباح إلى المحكمة كونه شاهدًا، ولكن هذا لم يكن مرعبًا كفاية مثل حقيقة اتهام (بارسونز) ليس فقط بالاعتداء، ولكن أيضًا بالتخريب.

لقد كان مثل البواكي التي عُبِّئت في صندوق وكانت جاهزة للتحميل.

كان (بولي) يعرف أنه شاهد سيئ، ولا يستطيع سرد الوقائع بشكل فعَّال، فكل ما يعرفه أنه سيستبدل الحروف بشكل مُضحِك، ولن يستطيع جمع الكلمات بشكل صحيح، وراح عقله يدور حول نفسه مسببًا الدوار له.

بينما كان (بلات) يحاول صنع رأي عام مضاد لـ(موريسون)، لكن (بارسونز) لم يكن يحب سماع كلمة واحدة سيئة عن (موريسون)!

- لا شيء ضد (موريسون) يا رجل. قالها (بارسونز) في هدوء - لم يفعل الرجل شيئًا وأنا لن أختصمه تابع.

صمت الجميع بينما قال (بارسونز):

- عَلَيَّ أن أوافق على دفع الغرامة، فلا فائدة مِن محاولة الهروب بفعلتي، فقد ضربته، لا فائدة من الإنكار.

ثم ارتفع صوته الجهوري من جديد:

- ولكن، أي حياة تلك، في العاشرة وخمسة وثلاثين كان رجلًا يحاول أن يمارس واجبه، وفي العاشرة وأربعين دقيقة، يفسد كل شيء.

ثم راح يُكرر كلمة - يفسد بطريقة مسرحية عنيفة حتى بَدَا كالزلزال من جديد.

- زلزال حطم كل شيء. قالها (بولي) هامسًا:

- لن يُعيدني العجوز إلى العمل، لقد انتهى أمري هنا، لم يعُد لي مكان، فبعد اتهامي بالاعتداء فسوف يلقي بي خارجًا بلا رحمة.

قال (بولي) محاولًا تطييب خاطره:

- ربما يمكنك أن تنضم لإحدى الفرق، ربما كان الوقت المناسب الآن.

لم يجب (بارسونز)، ولم يُعقِّب أي منهم، وساد الصمت.

لم تكن الأمور سيئة في المحكمة كما توقع (بولي)، فقد منحوه مقعدًا هو وباقي الشهود بجوار حائط المحكمة، وبعد تلاوة موضوع القضية، ظهر (بارسونز) واقفًا على قدميه أمام القاضي، وفي لحظتها توقف (بولي) عن هز قدميه، وثبتهما بشكل معزز، حتى لا يُتَّهم بعدم احترام المحكمة.

راح (بولي) يتصوَّر حدوث مسرحية مثل هذه، وكيف سيكون (أفلاطون) حاضرًا للدفاع عن ما فعله (بارسونز)، لكن خواطره الخيالية تبخرت عندما نادوا على اسمه.

نهض واقتِيد بواسطة شرطي كبير في السن حتى تقدم إلى منصة القاضي وقدماه ترتعشان.

راح الحاجب يُكرِّر القسَم بينما كانت إجابة (بولي) مقتضبة - نعم.

ثم قبَّل الكتاب المقدس حتى لا يرميه القاضي بالرصاص من عينيه.

- تحدث بوضوح قالها القاضي بصوت صارم.

حاول (بولي) أن يُرتب بعض الكلمات الجيدة في حق (بارسونز)، بل وحاول تبرير تصرفه بسبب أنه من الأشخاص الذين يُستَفَزُّون بشكل سريع.

- هل تعني أنه مُستفَز بشكل سريع أم مزاجي متقلب؟

- أعني أنه يُستَفز بشكل سريع يا سيدي.

- أي أنك لا تعني أنه سريع الغضب وغير متزن؟

- لا سيدي، أعني أنه يُستفز لكنه يمكن تهدئته بسهولة.

ختم (بولي) كلامه بابتسامة مضطربة.

- إذن لماذا لا تقول الكلمات ببساطة وبلا استخدام المصطلحات؟ قالها القاضي بصوت صارم.

انتهى الاستجواب، وأُخْلِي سبيل (بارسونز) بشكل مؤقت.

وفي المساء، جاء (بارسونز) ليحمل باقي أغراضه من المحل، لكن (جارفيس) لم يسمح له بأن يدخل المحل ليحمل باقي ما كان له.

وفي آخر الليل، كان (بولي) مُتلهفًا للعودة إلى السكن ومقابلة (بارسونز) لمعرفة آخر تطورات القضية.

لكن، لم يكن هناك (بارسونز).

فراشه خاوٍ، وأغراضه كلها فُرِّغَت، واختفى (بارسونز) تمامًا، اختفى بلا أي أثر.

وللمرة الأولى شعر (بولي) بشعور الفقد العميق.

دقيقة واحدة ودخل (بلات) مسرعًا إلى الغرفة المستطيلة.

- أوف! قالها في حزن بينما (بولي) ينظر من النافذة في حزن بلا كلمة واحدة.

- لقد رحل بالفعل. قالها (بلات) في خفوت. - لربما كان عليه أن يبقى قليلًا ليودع رفقاءه.

لحظة صمت سادت المكان قبل أن يرد (بولي).

- يا له من ضرس مؤلم! أتخيل أنه يضغط على عيني فيسبب خروج الدموع منها.

ثم وضع أصابعه في فمه متظاهرًا بأنه يضغط على ضرسه.

- إنه يجعل الأشياء مريبة، فلربما ظن أحدهم بسبب ذلك أنني أبكي، أبكي بلا انقطاع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثالث

المهد

(1)

لم تعد بورت ميردوك نفس المكان بالنسبة للسيد (بولي) بعد رحيل (بارسونز).

رحل (بارسونز) إلى لندن، والتحق بعمل متواضع في أحد محلات الملابس العادية، وأصبحت له اهتمامات جديدة، مثل الكتابة عن الاشتراكي وحقوق العمال، وأشياء مما لم يستطع (بولي) أن يفهمها أو يهضمها يومًا.

كان (بولي) يشعر وكأنَّ آخرين استولوا على (بارسونز) وحوَّلوه إلى شيء أقل بريقًا وأكثر جدية، وتحولت بورت ميردوك إلى مكان ممتلئ بذكريات باهتة عن (بارسونز)، وعمل ممل قاتم.

بينما على الجانب الآخر، تحول (بلات) إلى شخص رومانسي حالم، معبأ بأفكار رومانسية عن النهوض بمجتمع المرأة وأصوات المهمشين.

كل هذا تحوَّل إلى ضغط عصبي شديد أثر في قرارات السيد (بولي)، وسبب توترًا في علاقته بالمحاكم العجوز صاحب العمل، حتى إنه اشترك معه كلاميًّا عندما طلب زيادة في راتبه، بل وأعطى العجوز مهلة لكي يرحل إذا لم يستجب لطلبه.

وبعد أن رحل بالطبع، بقي لشهرين فريسة للوحدة والاكتئاب وضيق النفس.

في البداية، أقام في غرفة يؤجِّرها زوجان في إيزوود، حيث يقيم والده الأرمل بعد أن منح نفسه لخدمة الكنيسة، وأهمل محل الدراجات الذي كان يقيم أود البيت، وأصبح يعاني خيالات وقلة نوم، وراح يحدث الأشياء والهواء، حتى إن الطبيب المحلي شخص حالته بحالة معاناة من (الخرف الدائم).

كان (بولي) يعاني بسبب إقامته مضيفًا في ذلك المنزل، وخاصة مع أخلاق الزوجة العصبية وطباع والده المُتقلِّب الغريبة، حتى إنه كتب مئات الرسائل مثل هذه:

السيد المحترم صاحب متجر (...).

بالإشارة إلى إعلانكم المنشور في جريدة (العالم المسيحي) عن طلب بائعين في قسم الموضة الرجالية، أود أن أتقدم بنفسي للوظيفة، حيث إنني أملك خبرة ست سنوات في.. إلخ إلخ.

وبعد أن أتى على زجاجة حبر كاملة، وسكب المتبقي منها فوق سجادة غرفة النوم، أخذه الزوج إلى تمشية لطيفة، وعرض عليه اقتراحًا بأن يذهب إلى لندن، وأن يبحث عن شقة صغيرة هناك، وهو ما سيُؤهله لفرصة محتملة في أحد المتاجر.

- هذا سيساعدك كثيرًا يا صاح.

قالها (بولي) مخبئًا امتعاضه ثم تابع:

- لربما ذهبت إلى أحد هذه الشقق لبعض الأسابيع.

وبعد أن حزم أمتعته، سافر (بولي) إلى لندن، واتخذ غرفة في نَزل متواضع يناسب مَن هم في ظروفه المادية المتواضعة، مزود بغرفة قهوة تناسب أجواء عطلات نهاية الأسبوع.

مكان يمكنُه أن يُردِّد فيه جملًا على سبيل:

- من المالك الروحي للتطور؟ و- ماذا لو لم يأكل آدم التفاحة؟، وعبارات مِن كتب (إرنست جوي)، وتعبيرات لا يفهمها الناس بالشكل المطلوب، تمامًا كما يحب السيد (بولي).

في أحد الأيام، حاول أحد الشباب الموجود في النزل أن يُنشئ محادثة ودية معه، تجعله يشعر قليلًا بإحساس الألفة والود.

راح (بولي) يُراقب رأس الشاب وهو يتحرك، وشفتاه وهما تنفرجان وتنغلقان، وعقله يسافر إلى ذكريات بورت ميردوك، والبازار، وكلمات (بارسونز)، ثم قطع المحادثة الغريبة، وانطلق يهيم على وجهه في شوارع لندن.

وبعد ساعات، وصل إلى متجر الجملة بين تقاطعي (وود ستريت) وساحة كنيسة القديس بول، حيث يُجرون المقابلات للمتقدمين للوظائف.

كان هناك الكثير من المتقدمين، من مختلف الفئات ومختلف العقليات، ما بين متأنقين ومهملين في مظاهرهم، وما بين أناس مثله، وشباب مبتهج مشرق ممتلئ بالأمل والابتسامات المرسومة على الوجوه، وكان هذا الصنف هو أشد ما يكرهه (بولي).

- صغار أذكياء، مُعبئين بالذكاء المستصغر. العقيدة المتأنقة.

نطق التعبير الأخير كعادته في تحوير الكلمات، وإدخال النطق العامي عليها.

وكان هناك رجال تظهر على وجوههم سِمات الجوع والحاجة، في منتصف ثلاثيناتهم، فقرر أن هؤلاء هُم مَن يسمونهم - البروليتاريا، وراح يُجاهِد كي ينطقها كما قرأها سابقًا.

لطالما كان يبحث عن فئة يُمكن تصنيفها بهذه الكلمة الساحرة.

وهناك رجال في منتصف العمر، تبدو عليهم ملامح العَجْز، أجلسوهم في مقاعد على مدخل المخازن، وعلى وجههم ذلك التعبير (الأمور ليست سيئة لهذه الدرجة) برغم أنها كانت سيئة لمَن هُم في أعمارهم.

هناك العديد من الوجوه التي تتظاهر بأهميتها الشديدة، وبتقززها الشديد من الزحام وعدم الالتفات لهم، وكأنهم هُم مَن سوف يُجرون المقابلات للمتجر وليس العكس، وأناس يتحدثون عن مؤامرة عدم الالتفات لهم حتى الآن، وكيف أن كتب التوصيات هي الفيصل في الاختيار، ومِن بينهم وجه من وجوه (عقيدة المتأهلين) يرتدي باقة مرتفعة فوق قميص حريري، وينظر بعينيه الغبيتين إلى الجميع نظرة صاحب العالم الذي يمنح الجميع بركاته النادرة.

وجوه ووجوه، لم تعُد الوجوه حول (بولي) مألوفة، لقد تغيَّر العالم، وراحت الوجوه تعكس قلقه ورحمته وخوفه من البقاء وحيدًا، وخوفه الأعظم من انعدام فرصه في المنافسة على وظيفة وسط هذه

الكوكبة.

كان عقلُه يشعر وكأنه في غرفة انتظار في عيادة طبيب الأسنان، وفي أي لحظة ربما، ونُودي على اسمه كي يدخل إلى الحجرة، ويواجه أحد المسئولين عن التوظيف، ويردد تلك الكلمات المحفوظة عن شغله بالموضة والأزياء.

وشغله بأي شيء قد يطلبه صاحب العمل إذا دفع له ستة وعشرين جنيهًا راتبًا.

لربما كان صاحب العمل قد وضع توصيفًا مفضلًا أيضًا للعامل، لربما أراد - شابًّا طموحًا كفاية كي يقبل أي نوع من المشكلات، ونشيطًا كفاية كي يُقبل على العمل دون أن يُدْفَع نحوه والصراخ عليه كل يوم كي ينفذ ما طلب منه.

كان هذا ما سمعه (بولي) من السيد المتأنق، وهو يجلس أمامه.

- لا أظن أنك ستجد في الكثير من الكسل يا سيدي قال (بولي) محاولًا التعبير.

- أنا أريد شابًّا يتطوع دائمًا لفعل المزيد. قالها المتأنق.

- بالتأكيد يا سيدي، أنت تريد استثنائي. قالها (بولي) مستخدمًا لفظة خاصة بعمال الفنادق.

- اعذرني لكني لا أفهم ما تعنيه؟ قالها الرجل المتأنق، الذي لم يفهم تعبير (استثنائي) الفندقي اللاتينية من بين شفتي (بولي).

- قلت استثنائي يا سيدي، باللاتينية، إنه تعبير لفعل الكثير بجودة استثنائية.

- هل تعني بهذا التعبير أنك ستكون مستعدًّا لفعل المزيد؟ قالها المتأنق وأمارات الغباء تعلو وجهه المُحاط برأس حليق منمق.

- نعم سيدي بالتأكيد.. فعل المزيد. رد (بولي) في خُفوت.

قهقه الرجل المتأنق في غباء، بينما (بولي) يُصدر أصواتًا من فمه تدل على الموافقة والاستحسان.

صمت الرجل المتأنق متفحصًا (بولي)، ثم قال:

- بعض الموظفين هنا يخدمونني منذ عشرين عامًا، بل إن بائع قسم مانشستر يعمل لديَّ منذ أن كان صبيًّا صغيرًا. هل أنت مسيحي مخلص؟

رد (بولي) في هدوء:

- أتبع كنيسة إنجلترا يا سيدي.

- ممم همهم المتأنق وهو يتفحصه من جديد، ثم تابع:

- حرصًا على سير العمل بشكل جيد، ربما كنت أفضل بروتستانتيًّا تقليديًّا، ولكن...

ثم قطع عباراته وهو يتفحصه من جديد.

كان يركز على ربطة عنق (بولي)، والتي حرص الأخير على ربطها بشكل يناسب متقدمًا لوظيفة مهمة محترمة كما تعلَّم في بورت ميردوك.

- سوف أراجع مراجعك الوظيفية، وستسمع منا إذا وقع الاختيار عليك.

نهض (بولي) مُترددًا وهو يشيح بوجهه قائلًا:

- شكرًا يا سيدي.

ثم نصب قامته وتابع:

- أتمنى أن أسمع منك في القريب العاجل سيدي.

فقال المتأنق:

- لو كان كل شيء مُرضيًا، بالتأكيد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

بالتأكيد، الرجل الذي ينبش على المصطلحات الغريبة، الرجل الذي يتمتع في الحياة بكل ما هو هزلي وغير عملي، الرجل الذي يقرأ (بيكاتشو) و(شكسبير)، ويستخدم تعابير مقلوبة المعنى ومتغيرة الحروف، الرجل الذي يستخدم مصطلحات مثل (صغار أذكياء) و(مستصغرون نبيهون)، ليس من المُرجَّح أن ينجح في أي بيئة عملية مثل هذه.

كان تقدُّمه في العمل بطيئًا بالتأكيد، فلم يحصل على أي زيادات، ولم يصبح من الموظفين المهمين، وكان دائمًا ما يرى في عيني أصحاب العمل تلك النظرات غير الرياضية عن أدائه العملي.

كان دائمًا ما يظهر بوصفه موظفًا نظيفًا ملتزمًا، لكنه لم يكن رجل مبيعات ناجحًا أبدًا.

كان كما هو، يخترع المئات من الأسماء الحركية المركبة، ويكثر من تحوير التعابير اللغوية كي تناسب مزاجه المتقلِّب، ويقع في الحب من طرف واحد، ثم يتذكر الفتاة في الفندق، والتفاح الأصفر والأخضر، ولحظات النوم تحت أشعة الشمس في أيام الآحاد فوق العشب الأخضر في فكسبورن، ثم تصيبه نوبات من الإحباط وعدم الراحة، ويعيد من جديد اليوم بعد اليوم، بلا جديد.

ذهب في أحد الأيام إلى كانتربري، ليشاهد القليل من المعمار القوطي القديم، فقد كان بين (بولي) وبين أي شيء قوطي علاقة غرام قوية.

فقد كان يقف داخل الكنيسة العريقة ليملأ عينيه والزجاج الملون المتشابك، والأخشاب الناعمة القوية، ويشعر بذلك الشعور وكأنه في المنزل، كما لم يشعر من قبل.

كان يهمس دائمًا بالكلمات بينه وبين نفسه - روعة مطلقة. وهو يراقب التكوينات الفريدة.

كان يسمع الموسيقى الصادِرة من البيانو، والأصوات الطفولية الرقيقة التي تصدر من الحناجر النظيفة الشابة، وتلك الألوان الزاهية من حوله، حتى إنه كان عاجزًا عن ممارسة عادته في اختراع مصطلحات متغيرة الحروف، والتعابير العامية المثيرة للجدل، بل كان يسرح بخياله إلى تلك الأيام القديمة، التي كان الناس يعيشون فيها في بيوت حجرية ذات أبواب كبيرة، يخرجون منها إلى سماء زرقاء لا نهائية، ومراعي خضراء، وتلك الأسمال الرقيقة، والحياة الطبيعية الهادئة.

في داخل كنيسة كانتربيري، قابل (بولي) الأمريكيين للمرة الأولى في حياته.

كان يراهُم دائمًا في الطُّرق المحيطة بمحل عمله، يمشون مُسرعين دائمًا، محافظين على تعابير واحدة جامدة، ويبدون غير مهتمين بالأناقة وعمليون لأبعد الحدود، ليس مثل أي إنجليزي.

- جشوع حضاري قالها كالعادة مضيفًا حرفًا إضافيًّا لكلمة (جشع) كما هي عادته في تحوير الكلمات.

ثم وجد التعبير سخيفًا، فحاول من جديد:

- رغبة ملحة في العودة إلى الإرث الحضاري.

كان الأمر غريبًا عليه، وما توقف من ساعتها عن محاولة العثور عن إجابة له.

ثم تلك اللكنة المسرعة المعوجة، التي لفتت انتباهه، وجعلته يحب سماعها، مثل ذلك اليوم التي كانت تقف فيه الشابة الأمريكية بجوار إحدى بوابات الكنيسة قائلة:

- والآن، هل هذا النصب التذكاري للسيد (مارلو) مهم حقا؟

صمت متلصصًا على الكلمات

- نحن لا نريد أن نُضيِّع وقتنا في عروض جانبية، نحن نريد الشيء الكبير خلف أبواب هذه الكنيسة القديمة، نريد الملخص المفيد للأمر، ثم نشرب الشاي في نفس الغرفة التي كان الأسقف يستقبل فيها زواره، ثم نلحق بقطار الرابعة والثلث إلى لندن.

كان يستمع، وتلك التعابير المختصرة القوية تملأ أذنيه، بالذات مثل - الشيء الكبير خلف أبواب هذه الكنيسة القديمة، وراح يُردِّده على مسامعه في خفوت.

راح يتخيل كيف كان (بارسونز) سيندمج مع الأمريكيين، بينما بالنسبة له هو يعرف أنه ليس مناسبًا لهم.

فقد كانت (كانتربيري) بالنسبة له هي تلك الواحة الخضراء القابعة وسط الأيام الصحراوية الجرداء، بعد أن ذهبت الصحبة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

كانت أيام (كانتربيري) سيئة في المجمل على حياة السيد (بولي)، العملية والشخصية على حد سواء.

حاول كثيرًا، وبذل مجهودات خرافية -من وجهة نظرنا- كي يُحسِّن من أدائه في العمل داخل المتجر، لكنها لم تكن جيدة بالشكل الكافي كي تحافظ له على مكانة مقبولة في المتجر، مثلها مثل الصبغة الرديئة، التي تفشل في الحفاظ على لونها تحت ضوء الشمس.

يذكر أحد أيام الآحاد، عندما رافق أحد زملائه المحترمين في رحلة قصيرة بقارب تجديف، وعندما وصلا إلى أحد فروع النهر الضيقة، وبعد الإبحار داخله بُرهة، اكتشفا أن النهر يضيق بشدة والتيار قد يتسبب في قلب القارب، فقرَّرا العودة عكس التيار، فقط ليكتشفا اضطرارهما للتجديف بستة أضعاف مجهودهما العادي، وبسرعة لا تزيد على ميلين كل ساعة، ليصلا إلى المرفأ فجر الاثنين، ويذهبان إلى العمل في صورة مُزرِية.

كان صاحب العمل رجلًا مسيحيًّا طيبًا، ولم يكن ليحاسب (بولي) على تقاعسه يومها لولا تلك الملحوظات الغريبة التي أضافها (بولي) للحوار:

- التيار هو التيار يا سيدي، لا يدَ لنا فيه يا سيدي. قالها (بولي) وهو يهز كتفيه.

- وما فائدتك لي وأنت تأتي إلى العمل هذا الصباح وذراعاك لا يقويان على تحريك ورقة. أجابه الرجل شاعرًا بتلك المشاعر المختلطة من قلة الاحترام والإهمال.

ثم تركه بعد أن وجَّه له كلمات قاسية، وطلب منه الرحيل.

راح (بولي) يستشير عقله المضطرب ونفسه القلقة، فهل عليه الاستمرار وتلقي الفتات كما تفعل سمكة في حوض سمك ضيق أم عليه أن يحاول السباحة في حوض أكبر؟

وهل سيكون حاله جيدًا هنا عندما يقترب من منتصف العمر ويبدأ شبابه في الضياع والاختفاء؟

كان يدور حول نفسه باحثًا عن حل جديد.

في أحد الأيام فكَّر في العمل مع أحد الفرق الكوميدية، فقط ليكتشف أنهم ليسوا موهوبين أو على أي قدر من الموهبة، وأنهم مجرد مهرجين يُضْحِكون الناس بالحركات الغريبة، والإيماءات العصبية، وغالبًا ما يواجهون بصراخ الاستنكار من المشاهدين.

أبهرته تجارة الجملة ومزادات الفاكهة، لكنه اكتشف جهله التام بالخضراوات وطريقة بيعها وطريقة ترتيبها.

قدَّم بعض الاستفسارات عن الهجرة إلى إحدى المستعمرات، لكنه لم يجد حاجة لأي من بائعي متاجر الملابس دون أن يكون معه المال ليشارك في التجارة؛ لذا فقد استمر كما هو، مساعد بائع في أحد متاجر وودستريت.

انتقل إلى العمل في أحد متاجر البدلات الجاهزة، وكان يعمل براتب خمسة جنيهات فقط، ويأكل مع باقي الموظفين في قبو مُعْتم، ويعمل أيام السبت حتى الثانية عشرة.

كان يبقى مستيقظًا لساعات طويلة من الليل، ويفكر في أن أيام الضحك والتجول تحت أشعة الشمس في أيام الآحاد قد ولَّت إلى الأبد.

في أحد الأيام، كان ملاحظ المتجر يمر بالبائعين، عندما سمع صوته:

- بولي، استيقظ، ابتهج، انظر إلى نفسك، لا بد أن تكون متيقظًا ومنتبهًا، لا بد أن تظهر منتبهًا ولمَّاحًا على قدر ما تستطيع، ولا تشرد هكذا، ما مشكلتك يا (بولي)؟ ما مشكلتك؟

وفي إحدى الليالي المظلمة، راح عقل (بولي) يسرح مفكرًا في حياته البائسة.

كان يشعر بشعور الأرنب الشاب، الذي قضى حياته يمرح ويلعب، متفاديًا الرصاصات النبيلة من السادة الكبار، وكلاب الصيد ذات الأرجل الطويلة، ويختبئ من الضواري والجوارح، ثم فجأة، وَجَدَ نفسه مضطرًّا أن يعيش مقيدًا في شبكة صيد عفنة.

هذا الشعور ضاعف من إحساسه بعُسر الهضم، والذي بدأ يُصبح حالة مزمنة ملازمة له منذ أن ترك البازار.

راحَ يلومُ والده، ويلوم وضعه إياه في تجارة غريبة لم يحبها قط، ولم يحرص يومًا على جعله إنسانًا صالحًا -أن يفعل كما يجب على الآباء أن يفعلوا- ثم تذكر تعليمه المتواضع، ومدرسته القاتمة المعتمة، والحالة المُزرية لمهاراته الاجتماعية، وانعدام ثقته في أي شيء يفعله وأي شيء قد يفكر في فعله.

راح يتذكر الكلمات، واللوح النحاسي، وضرباتِ العصا على أطراف أصابعه عندما يُخطئ في تهجِّي الكلمات، والمدرسين الرجعيين، والأيام التي ولَّت وتركت أثرًا لا ينمحي في نفسه.

حالة السيد (بولي)، قد يصنفها رجل نبيل يعيش في هايبري، يمسك قلمًا ذهبيًّا، ويكتب معظم مقالاته في مكتبة نادي الإصلاح الجميلة.

لم يكن هذا الرجل يعرف السيد (بولي) شخصيًّا، لكنه قد يتعامل معه بشكل عام على أنه

واحدة من تلك الوحدات غير المعدلة التي تكثر في مجتمع فشل في تطوير ذكاء جماعي وإرادة جماعية، بما يتناسب مع أولويات ذلك المجتمع وتعقيداته ووحدات تكوينه

لكن عبارات مثل هذه لم يكن لها أي علاقة بالسيد (بولي).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الرابع
السيد (بولي) اليتيم

(1)

تغيير كبير طرأ على حياة السيد (بولي) عندما مات والده.

مات والده فجأة، وما زال السيد الطبيب مُصِرًّا على أنَّ ما كان الأب يعانيه هو خرف المخ، لكن (بولي) لم يقتنع، والطبيب لم يكتب في تقريره الرسمي سوى عبارة واحدة:

- توقف القلب.

وفجأة وجد (بولي) نفسه وسط قطع متفرقة قديمة من الأثاث والثياب، وساعة ذهبية مقلدة، وقلادة رفيعة كانت أمه ترتديها، وصورة للعائلة، وبوليصة تأمين، ومبلغ في البنك يبلغ ثلاثمئة وخمسة وتسعين جنيهًا.

طوال عمره، كان (بولي) دائمًا ما يشعر بأن والده كائن خالد، حقيقة كونية لا جدال فيها، لكنه لم يقتنع بأن هذا الرجل -الذي كان عقله ليس على ما يُرام- يمكن أن يفكر في وثيقة تأمين، وادخار مبلغ كبير كهذا في البنك، فقد بَدَا له الأمر غير منطقي.

كانت وفاة أمه ليست سوى ذكرى بعيدة لا يشعر معها بالحزن الملائم، بل إن أكثر الذكريات المُحزنة في حياته كانت فراق (بارسونز).

تذكر تلك السيدة الجامدة المريبة، والتي أخبروه أنها عمته، وكيف لم يكن على أي تواصل معها بعد وفاة أمه، وحتى ألقى به أبوه في البازار ليعمل، وتذكر أنه لم يكن يومًا على تواصل معه بأي صورة، فلم يشعر يومًا بأنه أبوه، لكن موت الرجل الكبير سبب له ما يُشبه حفرة كونية، وكأنَّ كلمة (الموت) قد كُتبت على سحابة كبيرة في السماء، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ الحزن لم يُمزِّق نياط قلبه، لم يبكِ أو ينتحب، لكن كان هناك ذلك الاضطراب في وعيه وتفكيره.

تذكر يوم أن هرع إلى منزل ابن عمه في إيزوود، بناءً على تليجراف استلمه في مكان عمله، وأخذه ابن عمه إلى العلية، ليريه جسدًا مسجًّى هادئ الوجه، مستلقيًا في هدوء على الفراش.

- وجهه هادئ، أرجو أن ينعم بالسلام الذي ابتغاه قالها (بولي) في بساطة.

- لقد كان رحيلًا هادئًا رحيما. قالها ابن عمه في أسف.

ثم ساد الصمت برهة.

قطع (بولي) الصمت، لا لشيء سوى لشعوره بأنه لا بد أن يقول شيئًا!!

- هذا الرحيل الثاني الذي أشهده.

- سوف نشهد جميعًا ونرحل جميعًا.

فقال (بولي) مُعقبًا:

- بلا شك يا صاح، بلا شك.

ثم ساد صمتٌ جديد، أطول من سابقه، قطعته خطوات ابن عمه وهو يقوده إلى الأسفل من جديد.

ولدهشته شعر بالراحة.

في المساء، كان (بولي) يتمشَّى في الشوارع الهادئة، عندما فجأة اكتشف أن أباه قد رحل بالفعل.

راحت الذكريات تتداعى، ذكريات حياته مع الرجل الكبير كطفل صغير لاهٍ، ذكريات الرحلات السنوية لعروض (البانتومايم) في كريستال بالاس، والعزف على الأجهزة الموسيقية في ليالي الصيف، والطائرات الورقية، والضحكات المجلجلة مع زبائن المحل، والشغف، لطالما كانت ذكرياته مع أبيه يُغلِّفها الشغف، الشغف بالحياة والشغف بالجديد والشغف باللغة، الشغف الذي لم يقده لشيء إلا حياة بائسة في علية منزل ابن أخيه.

وعندما تذكر السيد (بولي) كيف كان أبوه إنسانًا حقيقيًّا، غزا الحزن قلبه، وبدأ يشعر كيف أن هذا المسكين لم يستمتع بحياته أبدًا، وأنه قد حاول أن يعيش حياة مستقرة هادئة، لكن كل شيء قد انتهى الآن.

كان ابن عم (بولي)، السيد (جونسون)، رجلًا منظمًا مرتبًا حكيمًا، استطاع بكل اقتدار تنظيم جنازة لائقة، وحافظ على كل الترتيبات اللازمة، بطريقة تليق بمدير محطة قطارات إيزوود السابق.

كان رجلًا مرتبًا منمقًا، عيناه عميقتان صارمتان، مهتمًّا للغاية برياضة الكريكت، معتد برأيه بشكل فائق للعادة، وأي مناقشة لا تستهويه لا يُظْهِر معها أي مرونة.

بينما كانت زوجته امرأة قصيرة القامة، وردية البشرة، متحدثة لبقة، تُوزِّع الابتسامات بلا حساب، وتحب دائمًا أن تكون مبتهجة، حتى إنها قالت واصفة أواخر أيام والد السيد (بولي) المُتوفَّى:

- كان مبتهجًا وهادئًا في أواخر أيامه. وراحت تكرر الكلمات في هدوء:

- مبتهجًا وهادئًا. وكأنها تحول الموت إلى أمر مبهج مقبول!

كان جالسًا في هدوء بعد أن تناول عشاءً جيدًا، وعسر الهضم يهاجمه من جديد، ربما بسبب كعكة التفاح، بينما يناقشانه في ترتيبات الجنازة والحداد.

- سوف نأتي بعربة يجرها حصانان، ونحمل التابوت عليها قال (جونسون).

- نعم هذا أمر جيد. عقَّب (بولي).

- ولا بد من أن تستعد لاستقبال المعزين، لا بد من بعض الطعام تابع (جونسون).

- نعم، لحم جنازات مشوي قال (بولي).

- ليس بالضرورة أن يكون لحمًا، لربما أحضرنا بعض لحم الخنزير وبعض الدجاج. قالت السيدة (جونسون) وكأنها تُرتب عرسًا فخمًا.

أومأ السيد (جونسون) وتابع:

- ربما كان العدد نحو عشرة أو اثني عشر مدعُوًّا، وأنا أتخيل صلات القرابة الشديدة القرب، ربما بدأنا بهارولد العجوز.

- لكن أبي لم يكن على علاقة جيدة به، ولم يحبه يومًا قال (بولي).

- هو الآن لا يحب ولا يكره، لكنها الأصول والتقاليد عقب السيد (جونسون).

سرى في جسده شعور بعدم الارتياح، أعقبته جملة من السيد (جونسون).

- هل فكرت في ملابس الحداد؟

- هل أفكر في ملابس الحداد؟ تساءل (بولي).

- نعم، لا بد أن تفكر في ملابس الحداد. أجابت السيدة (جونسون) في بساطة.

- إذن لا بد أن أفكر في ملابس الحداد.

ابتسم السيد (جونسون) لسذاجة الشاب عديم الخبرة وقال:

- لو كنت مكانك، سوف أُجهز بنطالًا أسود ومعطفًا، وربطة عنق سوداء، وقبعة حداد سوداء من أحد متعهدي الجنازات.

فقال (بولي) محاولًا عدم السخرية:

- وهل لا بد من أساور قميص أزرار.

فأجابت السيدة المبتهجة:

- هي تظهر الاحترام قليلًا، ولكنها ليست ملزمة.

شعر الآن بكراهية الموت، ليس فقط لأنه ليس فقط يسبب شعورًا بالفقد والوحدة، ولكنه سيدخله إلى العديد من الدهاليز الاجتماعية.

بينما همس (بولي) لنفسه وهو غارق في أفكاره السوداء.

- كنت أتمنى أن أهتمَّ بما يخصه وهو حي، وهو حي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

صباح يوم الجنازة، والذي صادفَ يوم الأحد، كان السيد (بولي) يتمشَّى مع ابن عمه السيد (جونسون)، يتحدثان عن ما ينوي (بولي) أن يفعله، بعدما أصبح وريثًا شبه ثري.

- لو كنت مكانك لاشتريت مسكنًا جيدًا في لندن، وعشت على مدخراتي، وتوقفت عن العمل عند الآخرين، هل قلت لي إنك لا تشعر بالراحة من أسلوب العمل؟ إذن اتركه.

نظر (بولي) نحوه مستنكرًا وتابع:

- ثم أصبح عاطلًا، هذا أمر ثقيل.

- ولكن لماذا لا تفكر في استثمار أموالك؟ قد تُدر عليك دخلًا لا يقل عن عشرين جنيهًا.

فنظر (بولي) ناحية البنايات شاردًا وقال:

- لا أرى ذلك قريبًا مني، إنه ليس أسلوبي.

- عليك أن تفكر، لو كنت مكانك لفكرت في ذلك. قال (جونسون) معقبًا.

كانا قد اقتربا من منزل صغير من طابقين، في نهاية الشارع الهادئ المؤدي إلى مركز مدينة إيزوود، فأشار (جونسون) إلى المبنى الصغير قائلًا:

- منزل جميل، يمكن استئجاره، وإنشاء محل صغير في طابقه الأرضي.

ثم اقترب من الطابق الأرضي، وراح يشير إلى الحائط، ويشرح للسيد (بولي) كيف يمكنه إنشاء التجارة في هذا المكان؟ وكيف سيفتح بابًا هنا؟ ونافذة عرض هناك، والباب المؤدي إلى حجرة الجلوس، والسلم الذي يؤدي إلى حجرة النوم في الطابق العلوي، ثم خرجا من الباب يمشيان في الطريق إلى مركز المدينة التجاري.

عند الوصول إلى بداية صف المحلات، لفت انتباه (بولي) ذلك المحل ذو الواجهة الزجاجية الصغيرة، ثم فتح الباب المجاور لها وخرج منه رجل معتدل القامة، وامرأة بنية الشعر مليحة القسمات، وبينهما طفل نشط، وكانوا جميعًا يرتدون ملابس مهندمة راقية.

رفع (بولي) بصره ليقرأ اللوحة الموضوعة فوق النافذة الزجاجية:

(تجارة ريمر اللحَّام).

(سجق إيزوود الشهير عالميًّا).

اقترب (جونسون) من العائلة الصغيرة، وهزَّ رأسه محييًا السيد (ريمر):

- ذاهبون إلى الكنيسة؟

- قالها (جونسون).

- سنتمشى قليلًا في البراري

- أجاب (ريمر).

- تمشية لطيفة هي

- بالتأكيد، عمت صباحًا.

- تابع (ريمر) وهو ينصرف مع عائلته، بينما قال (جونسون) هامسًا لـ(بولي):

- انظر إلى ذلك الشاب، لقد جاء هنا منذ أربع سنوات، وكان نحيلًا كالخيط مفلسًا كالفأر، وانظر إليه الآن، لقد قام بعمل رائع. ثم نظر إلى (بولي) مستدركًا - بالطبع عمل بجد واجتهاد.

ثم ساد الصمت بين أبناء العمومة برهة، وقطعه (جونسون) قائلًا في لهجة تقريرية:

- بعض الرجال قد يفعلون أمرًا واحدًا بشكل جيد، لكن بعض الرجال قد يفعلون الكثير ولا يتعلقون بأمر واحد، وهؤلاء هم مَن تنجح تجارتهم، وهؤلاء مَن يصبحون رجالًا بحق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

مضتْ كل ترتيبات الجنازة بشكل سلس وسهل تحت إشراف دقيق من السيدة (جونسون).

فلقد رتَّبت تجهيز المنزل، ونشرت الأقمشة السوداء لتمنح جوًّا من الحزن الخفيف على المنزل، وطلبت من السيد (بولي) وزوجها السيد (جونسون) الخروج إلى الحديقة الخلفية -التي يفخر بها السيد (جونسون) كثيرًا- حتى تنهي آخر الترتيبات على العزاء.

وبعد رحلة في ممرات الحديقة الصغيرة، المعتنى بها بشكل جيد، عاد السيد (بولي) اليتيم إلى المنزل مع مضيفه، فوجد ثلاث سيدات ذوات وجوه وردية نضرة، يرتدين ثياب الحداد ويظهر عليهن الحزن، بصحبة السيدة (جونسون)، وما إن رأينه حتى اقتربن منه لمواساته وقبَّلن خده في هدوء على الطريقة الإنجليزية التقليدية، فقالت السيدة (جونسون) في هدوء:

- هؤلاء الفتيات هن أبناء خالتك (لاركنس)، هذه (آني)، وهذه (ميريام)، وهذه (ميني).

احتضنت الفتيات الثلاث (بولي) في مودة، مودة اندهش منها لأنه لم يقابلهن أو يتذكر أنه قابلهن من قبل.

- أوه، بالتأكيد, قالها (بولي) في خفوت ودهشته تتزايد من الترحيب الحار!

- وهذه الخالة لاركنس قالها السيد (جونسون) عندما دخلت نسخة عجوز من السيدات الثلاث إلى المنزل.

وكأنما اقتحمت عاصفة عاتية ميناء صغيرًا، اقتربت الخالة من (بولي) الشاب، وأمسكت وجهه بكفيها، ثم احتضنته من جديد، وعادت تنظر إلى وجهه ووجها المستدير المريح يختلج.

- أنت ما زلت كما كنت، أنت ما زلت أنت، ابن (ليزي)، عيناك هي عيناها.

وراحت تهز وجهه بين كفيها بينما قالت الشابة (آني):

- ولكن يا أماه، لماذا لم نقابله من قبل؟

فأجابت العجوز المتحمسة:

- لقد هدهدته وهو صغير، نعم، هدهدته وهو ما زال طفلًا.

- حسنًا، لا يمكنك أن تهدهديه الآن. قالت الشابة (آني) معقبة بضحكة خافتة.

ارتسمت ابتسامة باهتة على وجه (بولي)، وهو يقول:

- مرَّت أيام الهدهدة.

ثم نظر في وجه خالته وقال في هدوء:

- إنه دوري كي أهدهد.

- ليس أنا بالتأكيد، أشكرك. قالت الخالة (لاركنس) العجوز وهي تفهم قصده الخبيث معلقًا على كبر سنها وقُربها من مصير أبيه.

كان الجميع يبتسمون في هدوء ظانين أن (بولي) يمزح مع الخالة العجوز، عندما قطع السيد (جونسون) الوقفة الودية، وهو يرحب بشخص ما عند الباب على أنه (العم بينتستيمون).

كان العم (بينتستيمون) شيخًا عجوزًا في أرذل عمره، محني الظهر، ينظر من خلف نظارته بتلك النظرات الحادة، يرتدي معطفًا من الفرو الثقيل، وقبعة أسطوانية كبيرة، تخفي رأسه نصف الأصلع، وتظهر الندف البيضاء المتناثرة على جانب رأسه، ويحمل في يده سلة من الخوص بها بعض الخس والجزر والبصل، وهي على ما يبدو إسهام منه في تقديم واجب العزاء.

تقدم نحو الجمع وهو يقاوم محاولات السيد (جونسون) لحمل السلة عنه، وراح يجول ببصره بطريقة عدائية مكتشفًا الوجوه الواقفة، ثم قال موجهًا كلامه للخالة:

- أنت هنا، وهؤلاء هُن بناتك.

- نعم، بالتأكيد هن.

فقاطعها رافعًا صوته بلا مُبرِّر - هذه آني؟

- من الجيد أنك ما زلت تذكر اسمها. قالت الخالة مُعقِّبة.

- بالتأكيد، فقد أفسدت زرعة الفطر بالكامل، وقد منحتها إياها كي لا تلقى في المهملات، بالتأكيد أتذكرها، (جونسون)، هذه بعض الأشياء الخضراء لكم، ولكني أريد استعادة السلة، بالمناسبة هل دفنتوه أم ليس بعد؟ أنت دائمًا سبَّاق في هذه الأمور يا (جونسون). أتم جملته، ثم وضع سلة الخضراوات فوق مفرش الطاولة الأسود بلا اهتمام، وخلع قبعته وراح ينظفها بمنديل حريري.

كان شيء ما يُحيط بهذا الرجل وطريقته الفجة في التعامل، فقد كان يُمثِّل تلك الغلظة الزراعية القديمة في الأيام الغابرة لأمتنا الكبيرة، وكان وجوده في المكان وكأنك نثرت بعض الأتربة فوق كومة ورق.

- أنا سعيد لأنك حضرت يا عماه. قالها (جونسون) في مودة.

- نعم أتيت، أنا أتيت. ردَّد العجوز.

ثم أشار إلى الفتيات الشابات متابعًا:

- هل دخلن الخدمة؟

فأجابت الخالة في حزم:

- ليس بعد، بالتأكيد ليس بعد. أجابته بثقة وهي تعرف أنه يقصد الزواج بالتأكيد.

أشار نحو (بولي):

- أنت ابن ليزي؟

قطع عبارته صوت توافد العديد من الضيوف، منهم شباب وفتيات وسيدات يُمسكن أبناءً صغارًا يحضرن عزاء للمرة الأولى، وكل هذه الأشياء التي سببت إزعاجًا وعدم راحة لـ(بولي).

لاحظ (بولي) أن العمة (ملدريد)، والمعروفة بالفضيحة العائلية، لم تحضر، ورفضت دعوة السيد (جونسون)!

- يا فتيات، اذهبن للمساعدة قالتها الخالة عندما لاحظت أن التوافد قد زاد.

- أرجو من كل واحد منكم أن يحصل على كأس من نبيذ الكرز وبعض البسكوت. قالتها السيدة (جونسون) مُرحِّبة وكأنها في عرس صاخب.

بينما جلس العم (بينتستيمون) على مقعد في ركن حجرة الجلوس وهو لا يزال مرتديًا قبعته، وراح يوزع نظراته الحادة على الحضور، وحذر كل مَن يقترب منه أن يلمس قبعته الفخمة.

كان الحوار العام مُربكًا وغير مفهوم للسيد (بولي)، لكنه تفاجأ بالعجوز يُحدِّثه:

- أنت ما زلت صغيرًا جدًّا، أرنب صغير، أتعرف، لم أكن موافقًا على زواج (ليزي) من أبيك، لكن الماضي أصبح من الماضي الآن، لا بد أنك تعمل مُحاسبًا أو صرَّافًا.

فأجاب (بولي):

- أعمل في محلات الملابس.

فقال العجوز مشيرًا إلى الشابات:

- وهؤلاء البنات يعملن في حياكة الثياب.

فقالت الخالة العجوز عبر الغرفة:

- نعم، إنهن ماهرات في الحياكة.

تقدمت منه السيدة (جونسون) وناولته كأسًا من النبيذ، فناوله لـ(بولي) قائلًا:

- اشرب بعض من هذا، فأنت ستدفع ثمن هذا في النهاية. ثم شرب كأسه بصوت مرتفع مزعج.

ويبدو أن النبيذ بدأ يُرخي ألسنة الحضور، ويُطلق العنان لهم، فبدأت الأصوات ترتفع قليلًا والمواضيع تتفرع كثيرًا.

استمرت الفتيات في مراقبة الديكور الذي أبدعته السيدة (جونسون)، واستمرت السيدة (بانت) في التعليق على البسكويت، واستمر العم (بينتستيمون) في إبعاد الحضور عن قبعته الفخمة، حتى وصل الحانوتي، السيد (بودجير)

ظهر الرجل القصير حليق الوجه ذا المعطف الأسود على عتبة الباب، فاقترب منه السيد (جونسون) وتبادل معه حوارًا قصيرًا، ثم انقطعت الحوارات الجانبية، وانصبَّ التركيز على السيد (بودجير)، وخطواته الثقيلة تُحْدِث صوتًا مكتومًا فوق أرضية الحجرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

ازدحمت الأمور في عقل السيد (بولي) كما ازدحمت الغرفة.

الجميع أسرف في شُرب نبيذ الكرز، والجميع أطلقوا العنان لألسنتهم وملاحظاتهم الغريبة.

في وسط الزحام قال السيد (جونسون):

- لا بد أن نقوم بمسيرة احتفالية، لكن لدينا فقط عربتان، ويمكننا فقط أن نضع داخل كل منهما ستة أفراد؛ لذا سيتبقى ثلاثة بلا مكان.

ثم نظر إلى الجميع منتظرًا تلك المبادرة الطيبة من الحضور، مَن منهم سوف يمشي مترجلًا بجوار العربات.

وبعد أن تطوع البعض، راح (جونسون) يحشر الركاب داخل العربتين.

- ستكون العربة محشورة بشكل مزعج قالت الشابة (آني).

- أنا لا أمانع أن أكون محشورًا قالها (بولي) في خفوت.

وفي داخل عقله المضرب، قرَّر أن الوصف المناسب لهذه المسيرة هو (الانحشار القدسي الهستيري).

بينما كان السيد (بودجر) يقود المسيرة صائحًا:

- تماسكوا تماسكوا.

في هذه اللحظة، كان عقل السيد (بولي) يفكر في كل شيء غير مناسب، وهم ينطلقون في مسيرتهم إلى الكنيسة، وهو محشور بين آنستين من بنات السيدة (لاركنس)، فلم يستطع أن يركز تفكيره على مصطلحات مثل (معنى الحياة) و(قدسية الموت) بل راح عقله يركز أكثر على بنات (لاركنس) المحشور بينهما الآن.

كانت (آني) شابة جميلة ناضجة، ذات عينين زرقاوين لامعتين وفم مستدير مزهر، بينما كانت (ميني) شابة متفتحة مَرِحة، تبتسم في مرح على أي شيء وكل شيء، ولا تمانع التلامس والقبلات الودية على الخد، بينما كانت (ميريام) فتاة هادئة نضرة، تضحك بصوت مكتوم على أي كلمة عابرة غريبة يلقيها (بولي).

الخالة (لاركنس) نفسها، كانت مبتهجة للغاية ببناتها، فرحة بتوددهم لابن الخالة الغريب الآتي من عالم آخر، ولا تمانع في ذلك تمامًا، وإن كانت تُظهِر بعض التحفظ الكاذب كما لاحظ (بولي).

بينما كان عقل (بولي) المشتت يعمل بلا توقُّف.

عقل مشتَّت بين بنات الخالة (لاركنس) وبين دوره الحالي كونه قائدًا لمراسم تأبين، يرتدي قبعة غُلِّفت بالحرير الأسود، وشارة حداد على كتف معطفه، وعيناه تراقبان المراسم بلا تركيز، حتى إنه لم

يُظهر أي شكل من أشكال الحداد.

في الواقع، لم يظهر أي رد فعل من أي نوع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

مشى (بولي) عائدًا إلى المنزل من ساحة الكنيسة، ببساطة؛ لأنه أراد أن يكون بمفرده، لكن بنات الخالة (لاركنس)، الشابتان (ميريام) و(ميني)، أصرَّتا على اصطحابه، ولكن مع رؤيتهما للعم (بينتستيمون) يقرر المشي إلى جوار (بولي)، قررتا أن يتقدما قليلًا بعيدًا عن العجوز.

- أنت رجل حكيم. قالها العم العجوز.

- يسعدني أنك تراني كذلك قالها (بولي) في هدوء.

- نعم، فبعض المشي مطلوب قبل الوجبات الثقيلة.

تابع العجوز وهو يتجشأ بصوت مسموع فاضح:

- هذا هو تأثير نبيذ الكرز، اللعنة على منتجات البقالين!

وراح يتساءل عن مقدار تكلفة الجنازة بالكامل، لكن (بولي) بالتأكيد لم يكن يعلم شيئًا عن التكاليف، فقال العجوز وهو يبتسم في خُبث:

- لا بد أنها تكلف الكثير إذن، ما دمت لا تعلم يا بني.

ثم صمت برهة وقال:

- لقد رأيت الكثير من الحانوتية في حياتي، وأعرف كيف يسرقونك وأنت ميت.

- هل كنت تعرف أبي بشكل جيد يا سيد بينتستيمون؟ تساءل (بولي) في هدوء.

- لم يكن على (ليزي) أن تلقي بنفسها في هذا الخراب، أبدًا.

أجاب العجوز وهو يتجشأ بصوت أعلى من المرة السابقة، ثم تابع:

- هذا الكرز فاسد بكل تأكيد.

صمت (بولي) بلا تعقيب، وراح يتجاهل كلمات العجوز الوقحة، بينما يدخلان إلى المنزل، والسيدة (جونسون) تُوزع الابتسامات مع الطعام والشراب، والعجوز (بينتستيمون) يضع قبعته الفاخرة بحرص فوق خزانة الكتب، بعيدًا عن الأيادي المتطفلة التي سوف تتلفها، كما ألمح من جديد.

بعد أن اختلط الجميع وهم يتناولون طعامهم، وجد (بولي) نفسه جالسًا بين السيدة (بانت) التي تحاول أن تطعم صغيرها الشقي، وإحدى صديقات السيدة (جونسون)، والتي راحت تتبادل معها القصص حول الأحوال الاجتماعية لكل صديقاتهن منذ أيام المدرسة.

وأمامه كانت تجلس (ميريام) ابنة الخالة (لاركنس)، وبجوارها إحدى الصديقات من عائلة ما لا يذكر اسمها.

في وسط كل هذا، لم يستطع السيد (بولي) الشاب أن يركز في أي شيء من أفكار الحداد والحزن، بل كانت الكلمات تدور حوله من جدل الخالة (لاركنس) والعم (بينتستيمون)، في تعليق مستمر على ملابس الفتيات وتعليمهن وتربيتهن المتفتحة السافرة، وكلمات وقصص من السيد (جونسون) عن الوالد الراحل لا يعرف مِن أين مصدرها، وملاحظات السيدة بانت عن صعوبة تربية طفل بلا أب.

ثم اختلط الحابل بالنابل

- هل كنت في يوم من الأيام تتخيل أن والدك سيُتوفَّى يا سيد بولي؟ قالت السيدة (بانت).

- لم أتصور ليوم يا عزيزتي، الجمال والطيبة، أتذكر تلك الأيام. قالت السيدة (جوار بولي)، موجهة حديثها إلى السيدة (جونسون)!

وتابعت السيدة (بانت):

- تعرف، في بعض الأيام بعد وفاة زوجي، كنت أخرج مع رجل شاب يعمل في صيدلية من تلك ال.. ويلي، لا تبتلع الشوكة أيها الشيطان الصغير، يا لك من بائس! ماذا كنت أقول؟!

بينما صديقة (جونسون) تعقب:

- الجمال والطيبة، هل تذكرين عندما كنا نجلس في نفس الطاولة وكانوا يسموننا الجمال والطيبة؟

بينما وسط كل هذا، رفع السيد (جونسون) صوته:

- هل آتيك ببعض الويسكي يا سيد بينتستيمون.

بينما (بيتسي)، المضيفة الباسلة، تحاول العبور خلف مقعد (بولي) القريب من الحائط، والسيدة (جونسون) تدور حول صديقتها التي لا تتوقف عن حكي قصص المدرسة المملة، والعم (بينتستيمون) لا يتوقف عن الصياح طالبًا المزيد من شرائح الدجاج، والسيدة (بانت) تتابع في حماس.

- لكنهم لا يراقبون الآن ما يُقدِّمه السقاة في المطاعم.

بينما السيد (جونسون) يصيح مناديًا (بولي):

- ألفريد، ابتعد بمقعدك عن الحائط قليلًا.

والسيدة صاحبة ذكريات المدرسة ما زالت تحكي:

- أتتذكرين يوم أفسدت الحفل؛ لأنها لم تكن تحب أحدًا سوى نفسها؟

بينما (ميريام) تقول لـ(بولي) رافعة صوتها:

- ألفريد، يا ألفريد، تخيل أن هذا الرجل يعرف (كانتربري)، لقد أخبرته أنك كنت هناك يومًا ما.

- سعيد أنك تعرفين ذلك. قال (بولي) هامسًا.

بينما صاحت الخالة (لاركنس) في وجه العم العجوز:

- لا أسمح لأحد أن يتحدث بسوء عن بناتي، أيًّا كان صغيرًا أو كبيرًا.

بينما صاح السيد (جونسون):

- هل البيرة في غرفة الطعام؟

و(بيتسي) الباسلة تحاول فعل أي شيء لإرضاء الجميع ومساعدتهم، وقبلهم إرضاء ربتي البيت المتفانيتين.

- هل تسمح لي يا سيدي، لا بد أن أعبر من خلفك؟ قالتها لـ(بولي) في أدب.

- آه، نعم نعم.. اللعنة.. نعم. زمجر (بولي) في ضيق مكتوم.

- لا بد أنك تحمل الكثير من ذكائه، ويلي أيها الشيطان، لماذا تبتلع الطعام هكذا؟ هل أنت على عجلة أو تريد اللحاق بالقطار، امضغ الطعام جيدًا. راحت السيدة (بانت) تغمغم.

- بيتسي، أضيفي القليل إلى طبق السيدة لاركنس. قال السيد (جونسون) صائحًا.

- أو القليل من الذكاء، ما رأيك سيدي، أتريد القليل من الذكاء كذلك؟ صاح (بولي) بصوت مرتفع.

- ألفريد، ماذا دهاك؟! قالت السيدة (جونسون).

- لماذا تحاول التحدُّث عن بناتي؟ بينما أنت مَن دَفَنَ زوجتين شابتين وما زلت سليمًا كالجرس؟! عقبت الخالة صائحة في وجه العم العجوز.

- كانت تحب تلك اللعبة السخيفة، وتحبسنا في الفصل الدراسي لساعة كاملة وهي تضحك. السيدة المملة ما زالت تحكي الذكريات.

- ألفريد، أريد زيارة كانتربيري يومًا.

- زوجات شابات ولكن محترمات، لا يوزعن القبلات بلا حساب.

- ألفريد.

- تهذب يا ويلي.

- كانت أيامًا مجيدة في المدرسة.

- هل يمكنني المرور يا سيدي المحترم؟

بينما راح (ألفريد بولي)، يأكل بلا اهتمام، ونهض من فوق المقعد واقفًا أمام النافذة، ومواليًا ظهره للجمع، بينما بنات خالته يتجمعون من حوله في اهتمام.

لفت انتباهه زوج من الخواتم في يد (آني)، فقالت الشابة مُعقِّبة:

- ليسوا حقيقيين، ربحتهما في إحدى المسابقات.

- أو في أحد الجيوب! قالها (بولي) مستطرفًا، فضربت (ميني) كتفه ضاحكة في تكلف.

وفجأة، تذكر شيئًا ما، فصاح بصوت مرتفع:

- يا قلبي المبارك.

- ألفريد، هل مِن أمر ما؟ قال (جونسون) متسائلًا.

- لقد تركت المحل منذ ثلاثة أيام، ولم أرسل لهم برقية أو كلمة اعتذار، لقد انتهيت.

فقالت (آني) ضاحكة:

- يا لك من بائس! لقد ورثت ثروة لا بأس بها، لا أظن أنك قد تهتم بهذا العمل.

بينما كانت (ميريام) تنظر نحوه في هدوء، وهي تبتسم محاولة أن تكون لطيفة، فقال موجهًا كلامه لـ(آني).

- بل لا أظن أنك قد تهتمين بشيء يخصني أبدًا. ثم تركهم واتجه إلى الباحة الخلفية.

خرج إلى الباحة الخلفية، ومنها اتخذ الممر الصغير نحو الشارع الهادئ، والرياح الخفيفة الباردة تلفح وجهه، وزخات المطر الخفيفة تغسل عقله المضطرب.

شعر بالحزن، بالفقد، بغياب الأب والصديق والصحبة، بالحياة التي تضيق على رأسه الشاب، وراح يراقب أضواء المنازل وهي تنير الشارع الذي أوشكت الظلمة على السيطرة عليه، فتوقف عند السور ووضع يده في جيبه، وهو يراقب زخات المطر الخفيفة تضرب الرصيف الحجري، ورأسه يُقلِّب الذكريات الحزينة كستائر النافذة، لكن ما سيطر على تفكيره وهو يسمع صوت الهمهمة المُقبل من المنزل، أن لا أحد من هؤلاء الحضور قد لاحظ غيابه الطويل!

لا أحد منهم فكر أو انتبه أن (ألفريد بولي)، ابن الفقيد الذي حضروا لتعزيته، ليس موجودًا في احتفالية عزائهم الصغيرة.

بعد دقائق، عاد وقد نشط قليلًا إلى داخل المنزل، واكتشف أن الناس لم تلحظ حتى عودته، بل كانوا يراقبون ساعاتهم.

بينما العم العجوز (بينتستيمون)، كان قلقًا بشكل خاص على سلة الخضار، والتي أُلقِيت بشكل مهمل في أحد الأركان وقد تحولت إلى عجين، ولم يلاحظ أن (بولي) الصغير يقف إلى جواره.

حاولت السيدة (جونسون) أن تمنحه سلة أخرى بديلة، لكنه قابل محاولتها بمزيد من التذمر والزمجرة.

بينما وقف السيد (بولي) بين بنات خالته الثلاث، أصبحت (ميني) خارجة عن أي تحفُّظ، وظلت تُقبِّله على خده مُودِّعة، ثم اكتشفت أنه لم يحِن الوقت للذهاب بعد، بينما بدت (ميريام) تفكر في سخافة كيف تجذب لها عيني (بولي) الشاب، وتوقفت (آني) عن الضحك وانعزلت في حالة عاطفية، وأخبرته بتعاطف حقيقي أنها استمتعت بالجنازة أكثر مما يمكن أن تصوره أي كلمات!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الخامس

السيد (بولي) في إجازة

(1)

عاد السيد (بولي) إلى (كلافام) من احتفالية الجنازة، وكان مستعدًّا للمشكلات، وأخذ خبر إقالته بروح رجولية، ثم أخبر زملاءه في السكن أنه سيأخذ إجازة قصيرة، قبل أن يقرر في أي سكن سيكون سريره التالي.

فكر أنه الآن يملك كل المتطلبات؛ المال لأجل تذاكر القطار، والمال لأجل الفنادق، والمال لأجل النزهات والطعام، لكنه لا يجد مَن يقضي معه الإجازة.

فكر في أنه ربما يذهب إلى محل عمل (بارسونز)، وأن يقنعه بطريقة ما كي يترك كل تلك الأمور الفارغة، وكان يرافقه في إجازة طويلة مُريحة، لكنه لم يستدلَّ على عنوانه الجديد.

لماذا لا يذهب بمفرده؟ لأنه لا يقدر على تمضية أي وقت بمفرده أبدًا، إنه دائمًا ما يبحث عن صُحبة مرحة، يمكنها المرح واللعب.

ولكن، عندما خرج أخيرًا -بعد شهر- من الباب الجانبي لـ(كلافام) في ضوء الشمس الساطع ليوم لندني رائع، بشعور مبهر بالحرية اللامحدودة، لم يفعل شيئًا أكثر مغامرة من أمر سائق العربة بالقيادة إلى واترلو، وهناك أخذ تذكرة (لايزوود).

ما أكثر شيء يريده في الحياة؟ أظن أن أفضل تعبير عن شغفه المميز في الحياة هو المتعة في الرفقة.

راح طوال الطريق يُحدِّق في صفوف متشابهة من المنازل، ترصَّصت على جانب الطريق. منازل فوقها لوحات للبيع أو للإيجار، ومنازل ممتلئة بأناس غير اجتماعيين متباعدين، لا يتبادلون سوى بضع كلمات قصيرة حول مائدة عشاء كئيبة.

كانت تطاردُه ذكريات كثيرة، كانت إما صورة منسية أو حُلمًا؛ خصوصًا عندما رأى على جانب الطريق في إحدى الحدائق أربعة أشخاص ذوي شكل جميل؛ رجلان وامرأتان يرتدون ملابس أنيقة، يرقصون رقصة رسمية ممتلئة بالأقواس والالتفافات، على موسيقى عازف الكمان المتجول الذي صادفهم.

أشياء جميلة رآها طوال الطريق، أشياء حدثت وستحدث دائمًا، ربما حدثت في الشارع المجاور لمتجر (كالافام)، أو في إيزوود، أو في سفح جبل في ويلز، أو على ضفاف نهر في إيطاليا.

حدثت وستحدث بينما كان هو جالسًا خلف منصة بيع في أحد المتاجر، يحرق أيام شبابه الخضراء بنار لا تنتهي، ويحرق معها كل ذكريات حلوة وأحلام واعدة.

لم تنقطع خواطره حتى وصل إلى باب المنزل، وهو يتلقَّى ترحيبًا حارًّا من السيدة (جونسون).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

ترجم (بولي) إحساسه بالحاجة إلى الراحة والاهتمام قبل أن يتخذ خطوة جديدة إلى تعبير لطيف كعادته، وهو (الجونسونية).

رحب السيد والسيدة (جونسون) بقراره، ومنحاه الغرفة القديمة التي شاركها مع أبيه سابقًا، مقابل ثمانية عشر شلنًا في الشهر، وفي المساء عاد وهو يجر دراجة، وراح يحاول التدرب عليها أمام منزل آل (جونسون)، وهو يحاول التغلب على ما سماه (تبقير الإنسان).

كما عاد صباح اليوم التالي وهو يحمل بعض الكتب، مثل (الأعمال الكاملة) لـ(شكسبير) في نسخة مستعملة، وبعض أعمال (بيلوك)، وكذلك نسخة من (ألف ليلة وليلة)، وبعض أعداد مجلة (قصص في بلاكوود).

- أظن أنك تحتاج إلى كتاب عن كيفية القيام بالأعمال المكتبية. قالها السيد (جونسون) وهو يُقلِّب صفحات المجلة.

جاء الربيع، ومعه جاءت الأيام المشمسة، والرياح اللطيفة من الجنوب، ومعها أبحرت أساطيل من السحب الشاهقة في مهمات عاجلة هائلة عبر بحار السماء الزرقاء، ومعها راح السيد (بولي) الشاب يقود دراجته الجديدة عبر شوارع المدينة، ولكنه لم يكن يقودها مثل الجميع من مكان إلى مكان، لم يقُدها بغرض الوصول أو لحساب فرق الوقت بين المشي والدراجة، بل كان يقودها مستكشفًا، حالمًا، ينظر عند كل تقاطع وكل ناصية طريق وكأنه سيكتشف شيئًا جديدًا، أو سوف يقترب مِن تحقيق هدف جديد، مُسرعًا في مرة ومبطئًا في مرات.

وفي المساء، كان دائمًا ما يتمشى مع (جونسون) حول المنزل، ويستمع إلى أفكاره الكثيرة، فقد كان (جونسون) ممتلئًا بالأفكار الجديدة، حتى كادت تفيض منه إلى الطريق.

عاش (بولي) أيامًا هادئة، واختفى عُسر هضمه المزمن، وأصبح يستمتع بالحياة الهادئة.

وفي أحد الأيام، وبعد أن شعر بأن ساقيه أصبحتا قادرتين على القيادة لمسافات، توجه بدرجاته إلى منزل الخالة (لاركنس).

استقبل (بولي) استقبالًا غريبًا للغاية!

عندما أوقف دراجته ودق الباب، انفتح الباب عن (ميريام) في فستان منزلي بسيط وقد شمرت أكمامها أعلى الكوع، وكأنها تُمارس عملًا منزليًّا ما، وبدا أنها غير مصدقة أنه هو:

- ألفريد.. أنت بالفعل.

- نعم، ومعه المستكشفة. وأشار إلى الدراجة، لكن (ميريام) لم تُبدِ أي اهتمام بدعابته.

- انتظر هنا حتى أخبر ماما، انتظر.

ثم أغلقت الباب في وجهه، وسمع صوت خطواتها داخل المنزل.

ثم سمع صوت محادثة بينها وبين أمها، ولم يُميز من كلماتهم شيئًا، ثم فتح الباب من جديد.

في هذه المرة، كانت الأكمام تغطي ذراعيها، وشعرها مهندم، وعيناها مشرقة بتعبير ما، ثم ابتسمت وهي تقول:

- اعذرني، لم أقصد أن أغلق الباب هكذا. ثم خطت نحو عتبة الباب متابعة:

- كنت أخبر أمي فقط، كيف حالك يا ألفريد؟ لم أكن أعرف أنك تقود دراجة! يا لها من دراجة نظيفة! لا بد أنك تُحافظ عليها نظيفة بشكل استثنائي.

لم يُجِب سوى بابتسامة هادئة، فقد سمع أصواتًا عالية في الداخل، كما يبدو أنهم في يوم مزدحم.

- أتعلم، أنا لستُ من النوع الحريص جدًّا على الترتيب، لكني أحب أن أقوم بالأعمال من وقت لوقت، لكن عليك أن تقبلنا كما نحن يا ألفريد، من الجميل أنك أتيت ووجدتنا في المنزل، أحيانًا نكون جميعًا في الخارج.

ثم التقطت أنفاسها قليلًا وتابعت:

- من الجميل أن نراك ثانية يا ألفريد.

فأجاب (بولي) في هدوء:

- لم أستطع منع نفسي من رؤية بنات خالتي الجميلات.

احمرَّت وجنتاها قليلًا وقالت مُعقبة:

- أنت تقول أشياء أحيانًا.

قرب وجهه قليلًا منها وهو ينظر في عينيها البنيتين العميقتين:

- ولم أقل في الحقيقة أيًّا منهم.

احمرَّت وجنتاها أكثر، وكان على وشك أن يغرق في عينيها، إلا أن صوت ميني قطع المغازلة.

- هو هو، ألفريد، كيف أنت أيها العزيز.

أدخلوه إلى المنزل، ودعوه لتناول الشاي على الطاولة المستطيلة في المطبخ الصغير، والخالة (لاركنس) تقف في وسطه كجنرال عسكري.

قالت مُرحِّبة:

- تعال يا ألفريد، لا بُدَّ أن تتناول الشاي وبعض البسكويت معنا هنا، هل تدري أن (ميريام) تقوم بالترتيب اليوم؟ يا لها من فتاة صالحة! صحيح أنها لا تقوم بذلك عادة، لكنها فتاة صالحة، وإني المسكينة في العمل اليوم ولن تعود قبل السابعة، تعال تعال، أنا سعيدة لرؤيتك من جديد يا ألفريد.

كان سعيدًا لذلك الترحيب الدافئ من الخالة (لاركنس)، وهي تصنع الشاي في هدوء، ثم تراصت المجموعة على مقاعد بسيطة في حجرة الجلوس، والخالة (لاركنس) تُصر على وصف حياتهم بالبسيطة الخالية من التعقيدات والبروتوكولات، و(بولي) يبتسم وهو يراقب السيدة العجوز تجلس على المقعد المبطن، وتمسك كوب الشاي في أناقة وهي تبتسم له في حنان.

جالس (بولي) السيدة (لاركنس) وابنتيها، وراح يتبادل معهم الدعابات والقصص عن الغرائب التي تحدث له عند قيادته للدراجة، وهم يضحكون بأصوات مرتفعة -عدا (ميريام) التي كانت تبتسم في هدوء- وهو يمثل ما يحدث مُلقيًا الدعابات هنا وهناك، وأكواب الشاي تتزايد مع قطع البسكويت.

وفي هدوء همست (ميني) في أذن (ميريام):

- فتى مرح وخفيف الدم إلى حد ساحر.

فقالت (ميريام) وهي تبتسم:

- لا يمكنك أبدًا أن تتنبئي بما سيقوله، أبدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

- لن تذهب إلى أي مكان، ابقَ قليلًا. قالت الخالة (لاركنس) برجاء حنون.

- العشاء في الثامنة.

قالت (ميني) متبرمة، فقالت أمها:

- ابقَ حتى العشاء في الثامنة، ويمكنك أن تتمشى قليلًا مع الفتيات حتى أعد طاولة العشاء، وربما قابلتم (آني) كذلك، وعُدتم معًا مع موعد العشاء.

وبعد إصرار شديد من الخالة العجوز، ذهبت الفتيات لارتداء ثيابهن، وكن متأنقات بشكل جيد، بينما الخالة (لاركنس) تعدد في محاسن شخصياتهن أمام (بولي)، وهو يلقي بملاحظة عابرة غير مفهومة من الحين للآخر، ثم انطلقت الفتاتان مع الشاب (بولي) إلى ساحة المدينة المرصوفة، ورُحن يتبادلان معه النكات والمزاح، وخصوصًا (ميني)، التي بدت مشرقة متورِّدة ومرِحة بشكل خاص.

وبعد ساعة تقريبًا، حضرت (آني)، وأصبح السيد (بولي) الشاب مُحاطًا بثلاث فتيات جميلات، وهو محط اهتمامهن الشديد، وبدأ يجتاحه ذلك الشعور اللطيف بوجود ثلاث فتيات شابات حوله يحاولن إرضاءه ولفت انتباهه، حتى قالت (آني) بصرامة لأختيها:

- والآن ستتركونه لي قليلًا، فقد كان معكما لوقت كافٍ قبل وصولي، ثم إنني أريد أن أخبره بشيء.

زمجرت (ميني) مُستاءة، بينما حدجت (ميريام) شقيقتها بنظرة لائمة، ثم تقدمتا عليهما في المشي، بينما (آني) تمشي جوار (بولي) وترفع يديها قائلة:

- لقد تخلصت من تلك الخواتم.

فقال (بولي):

- أي خواتم؟! لا أتذكر.

- ذلك اليوم في جنازة والدك المسكين، ألقيت ملاحظة عابرة على تلك الخواتم الرخيصة في يدي، وأردت أن أخبرك أنني لا أرتديها لسبب ما سوى إبعاد المتطفلين.

- أليس مِن الغريب أن تبعد المرأة الفرص الجيدة عنها؟ عقَّب (بولي) في صراحة.

- لا أحب الفرص، أحب أن تأتيني فرصتي التي أستحقها، فأنا لستُ من تلك الفتيات.

فهز (بولي) رأسه كي يبدو متفهمًا، لكنه لم يستطع إلى الآن أن يفهم الغرض من هذه المحادثة.

لذا فقد لزم الصمت حتى عادوا إلى المنزل من جديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

كانت الساعة تقارب العاشرة مساء، عندما كان (بولي) يقود دراجته عائدًا إلى إيزوود، في ضوء القمر الصافي في ليلة ربيعية، وهو رائق الذهن من أثر المشروب الخفيف الذي شربه بعد العشاء.

وعندما وصل، صف دراجته بجوار باب المنزل، وما إن فتح الباب حتى وجد ابن عمه (جونسون) جالسًا يقرأ في أحد أجزاء (حجات بورخيس) وخاصةً الجزء الخاص بالكاهن الذي..

- هل تعرضت لحادث ما بالدراجة يا ألفريد؟ سأل (جونسون).

فأجاب (بولي) إجابة تليق بشخصيته الضعيفة الخائفة دومًا من المواجهة.

- نوعًا ما، شيء يخص البدالات، ورأيت أن أزور بنات الخالة في أثناء تصليحها.

فعقب (جونسون) دون أن يرفع عينيه من على صفحات الكتاب:

- شحنة اللاركنس؟!

أومأ (بولي) برأسه وغمغم بشيء ما، فقال (جونسون):

- كنت أتسلى بقراءة أحد كتبك وأنا أدخن، لكني لم أخرج منه بشيء مفيد، لقد بدا لي قديمًا جدًّا.

- ربما.

- هل زرت أي محلات في ستامتون مع بنات الخالة؟

- لا شيء مهم، تصبح على خير يا رجل. ختم (بولي) حواره الشيق مع ابن عمه، ثم صعد إلى غرفته.

وبينما يُريح رأسه على الوسادة، راح يُفكر في بنات خالته، وفي أُنوثتهن وشبابهن ومرحهنَّ، وإعجابهنَّ الواضح به، وإعجابه بهنَّ.

ببساطة، هن يَضحكنَ على أي شيء، ويعرفن لا شيء.

لكن (ميريام) لم تكن مثل الشابتين الأخريين، كانت متزنة قليلًا وفي عينيها شيء مختلف.

لقد قبَّل خدودهن وقبَّلن خدوده كثيرًا، وخصوصًا (ميني)، تلك المرحة المتفتحة للحياة.

ثم دفن أنفه في الوسادة، وراح يحلم بأشياء عديدة، ليس من بينها الأشياء المعتادة التي يمكن أن يفعلها شاب في عمره، كي يتعرف الحياة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

والآن بدأ السيد (بولي) يعيش حياة منقسمة. مع عائلة (جونسون)، أعلن أنه يميل -ولكن ليس بشكل قاطع- إلى الحصول على متجر لنفسه، ليستطيع كما يحب أن يستخدم تلك العبارة - البحث عن فُرْصة.

كان ينطلق في فترة ما بعد الظهر في هذا البحث في تشيرتسي أو ويبريدج.

ولكن، فإن الغالبية العظمى من الطرق لا تزال تقوده إلى ستامتون، وإلى الضحك وزيادة الألفة، فقد تطورت العلاقات مع (آني) و(ميني) و(ميريام)، وكانت شخصياتهن المختلفة مثيرة للاهتمام، وقد أصبح الضحك أقل وفرة بشكل ملحوظ؛ فقد ذهب شيء من الفوران منذ الانطباع الأول، ولا تزال هذه الزيارات ودية دافئة بشكل رائع، ثم يعود بعد ذلك إلى إيزوود، ليعود إلى مناقشات تبدو خطيرة -ولكن مراوغة- مع السيد (جونسون).

كان (جونسون) حريصًا حقًّا على إقناع السيد (بولي) بشيء ما، فقد كانت شخصية (جونسون) أمينة وصادقة، وكان يفضل حقًّا أن يرى قريبه الشاب يقوم بأشياء لنفسه بدلًا من تبذير أمواله، فقد كان (جونسون) يكره التبذير، أكثر بكثير مما يرغب في الربح. لكن السيدة (جونسون) بَدَتْ أكثر إنسانية وتسامحًا مع التسكُّع السائد على حياة السيد (بولي).

إلا أنه للمرة الأولى، جرب هذا الإحساس بالرومانسية، الرومانسية التي لطالما اشتاق إليها.

في أحد الأيام، كان يقود دراجته على أحد الطرق الريفية، ثم انحرف بها إلى أحد المراعي، بجوار حائط صخري متهدِّم، فجلس على إحدى صخور السور المتهدم، ووضع قبعته عليها، ثم نظر إلى جذع شجرة مقطوع، يقف عليه عصفور بني اللون.

- لا عليك، أنا فقط أرتاح. قال (بولي) مبتسمًا.

وهنا، ظهرت الرومانسية، سمعها أولًا، ثم بدأت تظهر.

صوت تنهدات ناعمة، مع عشرة أصابع وردية أنيقة، تبعها ساق بيضاء بضة، ثم شعر أحمر قصير، وكل هذا مغطى بفستان أزرق قصير، تجلس فوق الحائط على جانب التل.

مظهرًا الأدب، التفت (بولي) إلى الجهة الأخرى، لكن الصورة انطبعت في رأسه للأبد.

صاحت متفاجئة وهي تعود إلى ما خلف الجدار المتهدم:

- يا إلهي!

- لا تخافي، أنا لا أؤذي أحدًا، أنا غير مقتحم. كعادته، لا بد أن يغير حروف تعابيره كنوع من أنواع التعارف.

جَذَبَها قليلًا، وقع التعبير على أذنها، ثم قالت:

- لا أقصد، لكني لم أتوقع أن أحدهم خلف الجدار؛ لذا فقد كنت مرتاحة نوعًا.

فأجابها (بولي):

- لم أكن أعرف أنك لا تريدين رؤية أحد.

- فقط لا أحب أن أكسر القواعد، لكني أعرف أن الإجازات لا تكون مزدحمة.

- دعيها خلفك قليلًا، مع ثيابك القابعة على الأرض.

قال (بولي) في هدوء وهو يلتفت ناحيتها ببطء:

- أظن أنني سأبقى خلف الجدار قليلًا قالت الفتاة وهي تسلط عينيها الزرقاوين على عينيه، وشبح ابتسامة يتلاعب بشفتيها.

- دراجتك؟ سألته الفتاة.

فأجاب (بولي) بإيماءة من رأسه، لكن الفتاة تابعت محولة دفة الكلام.

- كل أهلي في الهند حاليًّا؛ لذا من المُمل أن يبقى المرء وحيدًا هكذا في هذا الفراغ.

قال (بولي) مُعقبًا:

- كل أهلي في السماء، في الحقيقة، لا أحد الآن ينتمي إليَّ.

- ولذلك فأنت..

ثم قطعت عبارتها مدركة أنها لا تتحدث بلباقة عن حالة الرجل، فتابعت وعلى وجهها تعابير الأسف:

- أنا آسفة، هل تُوفوا في حادث غرق سفينة، أم كان حريقًا أم شيء آخر؟

كان منبهرًا بطريقتها في إبداء التعاطف، بلا تعاطف، فقال وهو يهز كتفيه:

- التتابع العادي للوفيات، رقم واحد يذهب، ثم يتبعه اثنان.

بدا الحزن لوهلة على عيني الفتاة وهي تقول:

- هل تشعر بالوحدة؟

فأجاب (بولي): أنا فقط أجلس هنا في (استقوامة) حزينة!

ابتسمت للتعبير الغريب، ثم تابعت:

- لا ضرر من محادثتنا، أليس كذلك؟

- بالعكس، إنها شيء جميل.

فقالت الفتاة بابتسامة مُتَّسعة وهي تراقب المروج في الأفق:

- لكني سأبقى جالسة فوق الحائط.

لقد بَدَتْ رائعة بالتأكيد وهي تجلس فوق الحائط، فلديها رقبة رفيعة وذقن مُدبَّب كان مثيرًا للإعجاب بشكل خاص عندما تراه من الأسفل، والعيون الجميلة والحواجب الرفيعة ليست أبدًا جميلة في وضع طبيعي إلا لو نظرت إليها من الأسفل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(6)

- إذن هيَّا نتحدث قليلًا.

قالت الفتاة في هدوء.

إذا كان السيد (بولي) قد تعلم شيئًا من قراءاته الأدبية، فهو أن في مثل هذه الظروف، يعُدُّ التحلي ببعض الجرأة أمرًا مطلوبًا.

شيء ما في نفسه ظلَّ يكرر عليه هذا الدرس.

- هل تعلمين، أنتِ تذكرينني بأحد الفرسان، الذين داروا حول العالم بحثًا، وقاتلوا الوحوش والتنانين.

فسألت الفتاة:

- فعلًا! ولكن لماذا؟

فأجاب (بولي) بلا تفكير:

- لأنك تذكريني بالأميرة الجميلة.

احمرَّ وجهها خجلًا، وقالت:

- هذا هراء يا سيد.

- بل أنا لا أراكِ سوى ذلك، أميرة جميلة محبوسة في قلعة فاتنة شاهقة.

قالت الفتاة في هدوء:

- لن تراها فاتنة إلى هذا الحد.

- وها أنا الآن، فارس في دروعي المعدنية، ربما حذفنا الدروع، ممتطيًا حصاني، وعازم على إنقاذك بأي ثمن، وهزيمة جميع التنانين.

ضحكت الفتاة من كلمات (بولي)، وقالت من بين ضحكاتها:

- أتمنى لو كنت تقدر على رؤية تنانيني. وأكملت ضحكتها المرحة الساحرة.

- ارحلي معي إذن.

قالها (بولي) في جرأة، فأجابت الفتاة ضاحكة:

- أنت مرح ومُسلٍّ للغاية! أتمنى لو كنت قابلتك قبل خمس دقائق.

ابتسم ناظرًا نحوها، فبَدَت في انعكاس الشمس كنصب تذكاري للجمال!

- أناس مثلك يحلو العالم معهم.

- أنت لم تعرف اسمي بعد! قالتها مبتسمة في دلال.

- بل أعرفه، فربما هو، جميلة أو ساحرة.

- هو أقل جمالًا من ذلك، اسمي (كريستابل).

- وأنا اسمي أكبر عظمة مني، اسمي (ألفريد).

- لا تبدو مثل ألفريد، ولن أناديك ألفريد.

- إذن فهو (بولي).

- بولي! إنه اسم فتاة!

كاد يقول لها، إنه كان يتمنى ذلك، لكنه صمت مبتسمًا في هدوء.

نظرت إلى دراجته بعينيها الساحرتين سائلة:

- لماذا تجوب الريف على ظهر دراجة؟

- لأنني أحب ذلك، أنا أفعل ما أحب.

ابتسمت في هدوء، ثم نزلت من عليائها أعلى الجدار المتهدم، وجلست بجواره وهي تحدق في وجهه.

- هل تعلمين، هناك حُب من النظرة الأولى؟!

- أظن أن عليَّ العودة إلى أعلى الجدار. أجابته في خجل.

- سواء كنت أعلاه أو بجواري هنا، ذلك لن يغير من حقيقة مهمة؛ أنت أجمل مَن تكلمت معه طوال حياتي.

تلاحقت أنفاسُه وهو يحدق في عينيها، فأشاحت بوجهها في خجل، وراحت تبتسم ابتسامات كادت تطير صوابه.

- مَن أنت؟

فأجابها في وله:

- أنا لا شيء، لا أحد، لكنك الكل، وبجوارك أشعر بأنني الأهم.

ضحكت من جديد، وراحت تسأله عن دراجته، واسمه، وأهله، وتبادلا حوارًا لطيفًا كان (بولي) دائمًا ما يقطعه بكلمة غزل عابرة أو التفاتة حالمة إلى عينيها.

وبعد ساعة، نهضت الفتاة وهي تُسوِّي ثوبها وقالت:

- حسنًا، أيها الفارس!

- مولاتي الأميرة.

- تعال من جديد في الغد.

- أمر مولاتي، ولكن ألا تمنحيني أصبعًا واحدًا؟!

- أصبع! لماذا؟

فانحنى نصف انحناءة وهو يقول:

- لأُقبِّله احترامًا

وتفرَّقا على وعْد باللقاء في الغد.

لكن الغد جاء، وانتظر (بولي) عند الجدار المتهدم عشرين دقيقة على الأقل، وبدأ يشك في أنها ستأتي ثانية.

لكنها حضرت، ماشية بخطوات متأرجحة، أكثر نضارة وجمالًا ودلالًا من اليوم السابق.

ومعها، جاءت الأيام التي ستخلد في ذكريات ألفريد (بولي) إلى الأبد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(7)

قضى (بولي) عشرة أيام يقابل الفتاة ذات العينين الزرقاوين.

عشرة أيام، لكنها حملت معها أحلامًا وذكريات تكفيه عشر سنوات.

في خلال العشرة أيام، فوتا اللقاء مرتين فقط، أحدهم كان يوم الأحد، ولم تكن تقدر على الحضور، والثاني كان يوم عودة المدرسة، والبقية كانت تأتي متأخرة بحجج غريبة، لكن الفتى الولهان لم يكن يُعير انتباهًا لهذه الحجج.

كان اللقاء كأول لقاء، الفتاة تجلس فوق السور المتهدم، تاركة الشاب يغازل ويلقي بملاحظاته الجريئة، ويحكي قصصه المسلية، وهي ترد بعبارات غامضة أو لفتات خجُول.

بينما وقع (بولي) في الحب، وقع بلا مقاومة، وانطلق إلى عالم آخر، إلى عالم من الغيوم المضيئة، وحقول خضراء من الرغبة، ووديان من النشوة غير المعقولة، عالم لا نهاية له.

كانت الحياة أكثر إشراقًا، كلما نظر إلى وجهها المبتسم إليه من السماء، وكان شكلها اللامبالي بحبه وأشواقه، كأنه التمثيل الحي للحياة.

كان الأمر بِلا معنى، لقد كان غبيًّا تمامًا وطفوليًّا للغاية، لكن كل الصفات التي تشكل ما هو يُعرَف بالسيد (بولي)، انكسر مثل موجة حالمة عند قدمي تلك الفتاة، ومات قبل أن يلمسها أبدًا.

كانت تجلس فوق الحائط المتهدم، تتعجَّب من إصراره، ومستمتعة بتعذيبه، ومرة، تحركت فجأة على أثر توسلاته، بينما انحنى هو بخجل إلى حدٍّ ما، فأعطته أصبعًا صغيرًا منمشًا ومُصابًا بقرحة التنس لتقبيله كما طلب، ونظرت في عينيه، وفجأة شعرت بالحيرة، وارتدت إلى مكانها ساحبة يدها.

نظر إليها في جدية، ورفع صوته قائلًا:

- استمعي إليَّ، أنا لم أعد أستطيع التعامل بهذه الألاعيب الطفولية، أنا لست فارسًا يتوسل لتقبيل طرف أصبعك؛ لذا عامليني كإنسان راشد، واعلمي أنني سوف أفعل شيئًا في الحياة للحصول عليكِ، ويمكنني أن أعمل وأجتهد وأكسب المزيد من المال، وفي خلال خمس سنوات ستكونين زوجتي، فأنتِ ما زلت صبية صغيري بعد، ويمكنك الانتظار لخمس سنوات، حتى استثمر مالي، فأنت لا تعرفين ما يمكنني فعله.

- لكنك لا تملك الكثير من المال!

فعاجلها برده غاضبًا:

- أملك ما إن عملت عليه سوف يصبح ثروة صغيرة.

صمتت قليلًا، وراحت تعابير جادة ترتسم على وجهها وهي تقول:

- لا تفعل ذلك، لا تفعل ذلك!

- لا أفعل ماذا؟!

- لا تكن مثل الآخرين، ابق ذلك الفارس الحالم الذي يسميني أميرته!

نظر إليها نظرة حالمة مستعرة برغبة الحب، بينما راحت تُحدِّق فيه بعينيها الواسعتين.

وفجأة، سمع صوتًا يأتي من خلف الجدار:

- اخرسي يا روزي، سوف تفسدين كل شيء.

فأجابها صوت آخر:

- إذن دعيني أقترب لأستمع، احمليني أنتِ.

- سوف يرانا ويفسد كل شيء يا حمقاء!

تغيرت ملامح وجه (بولي)، وارتسمت عليه تعابير مَن انقلب عالمُه رأسًا على عقب.

- هل معك أحد هنا؟

سالت دمعة من عينيها، وصرخت عبر الجدار خلفها:

- أيها الوحوش القذرة؟!

ثم قفزت من فوق السور واختفت عن عينيه.

تسلَّق (بولي) السور مُسرعًا، وأصابعه تخدش الصخور البارزة، فرأى أميرته الصغيرة تركض وسط فتاتين من أصدقائها وهي تصرخ فيهما، بينما إحداهما تمسك بمعصمها ساخرة:

- الرحمة، الرحمة ليدي كريستابل.

بينما راحت الأخرى تضحك ساخرة، والفتاة تصرخ فيهما:

- توقفا عن الضحك يا خنازير، لقد أفسدتما كل شيء!

ثم انحرفوا جميعًا نحو غابة من أشجار الخوخ، بينما تقول فتاته ذات العيون الزرقاء:

- جئتما للمشاهدة فقط، عليكما اللعنة! لقد كشف كل شيء!

وبينما صوتها يخفت وهي تبتعد عن نظر السيد (بولي) المصدوم، تراخت يده من على السور، وراح جسده ينزلق الأمتار الصغيرة فوق الصخر البارز، فأذى ذقنه، وبمجرد أن لمس الأرض، راح يضرب بجبهته الحجر في غضب، وانكمش على نفسه يبكي بجوار السور.

اختلطت دموعه بدمائه الحارة السائلة على وجهه، وهو يهمس في ألم:

- معتوه.. معتوه!

لكن هذه الدماء والآلام لم تكن شيئًا يُذكر، قدر ما كان يعتصر قلبه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السادس

(ميريام).

(1)

أن نطير من واقع إلى آخر، هو نتيجة غير منطقية لإهانة الإنسان لنفسه، ولكن، كانت هذه هي الطريقة الوحيدة هنا.

بَدَا للسيد (بولي) أن اللمسة الإنسانية الدافئة، هي فقط التي يمكن أن تهدئ وقع إذلاله. علاوة على ذلك، كان يرى -لسبب غير محدد- أن تكون هذه اللمسة لمسة أنثوية، وكان عدد النساء في عالمه محدودًا.

فكر في عائلة الخالة (لاركنس)، كانت قلوبهم طيبة، وقد أهملهم لفترة، لكنه إذا ذهب إليهم، فسيكون قادرًا على التحدث بالهراء والضحك، ونسيان دوامة الذكريات والأفكار التي كانت تدور حول دماغه بشكل لا يُطاق.

- قريبي الغريب، أين كنت مختفيًا؟ صاحت بها الخالة العجوز عندما رأته على الباب.

- كنت أبحث في بعض الأعمال. أجاب (بولي) غير مقتنع بكذبته.

- لا أحد من الفتيات في المنزل الآن، لكن (ميريام) على وشك العودة، إنها فتاة جميلة، تتسوق بدلًا عني؛ لأني لا أفقه في التسوق جيدًا، لكن (ميني) تعمل قليلًا في ورشة السجاد؛ فهي تحب العمل، ماذا حلَّ بوجهك؟ هل تعرضت للضرب؟

أجابها (بولي) وهو يتحسس وجهه:

- بعض الخدوش من الدراجة.

ثم حكى لها قصة مختلقة عن حادث الدراجة.

دعته إلى الدخول في حنان، وهي تربت على كتفيه متابعة:

- لا بد أن تعتني بجروحك قليلًا؛ فهي تبدو منتفخة وخشنة، لا بد من بعض الكريم.

راحت تسأله عن حاله، وعن رحلته في البحث عن محل جيد، وهي تحثه على البحث بشكل أكثر جدية، وهي تحضر أكواب الشاي وبراد الماء، حتى فتح الباب وظهرت (ميريام).

دخلت تلوم أمها على إعطائها حقيبة تسوُّق مقطوعة اليد، ثم أشرق وجهها لدى رؤيتها (بولي).

- ألفريد، أين كنت مختفيًا؟

- كنت في الجوار.

- هل عثرت على المحل؟

- أركز على واحد أو اثنين.

- أمي، لقد أتيت بأكواب الشاي الخاطئة، لحظة، ما هذه الندوب؟!

كرر عليها القصة التي حكاها لأمها، وهي تحضر الشاي.

- تبدو خاملًا اليوم

- قالت (ميريام) في حنان.

- لستُ خاملًا، بل متأمولًا!

- يقصد متأملًا، بعد استبدال الحروف اللازمة كعادته.

بالصدفة لمس يدها على المنضدة، واستجابت بلمسة مُشابِهة.

تلاقت عينه بعيني خالته، فحانت منه نظرة مذنبة خجول، لكن خالتها لم تُعلِّق، بل لم يصدر منها حتى نظرة لائمة، وكأن شيئًا لم يحدث.

لحظات ودخلت (ميني) إلى البيت، وهي تشكو مِن تعامل صاحب ورشة السجاد معها، وكيف أنه سرقها في أجرها اليوم، ثم رأت (ألفريد بولي) الشاب، وعلقت على جروحه وندوبه، ثم راحت تحكي له عن يومها، وهو يعلق في خفوت:

- هل وجدتِ لسانك أخيرًا؟! قالتها السيدة (لاركنس) ساخرة.

دار الكلام عن أحلام (بولي) في محله الجديد المنتظر، وراح يتلقَّى الاقتراحات المرحة الضاحكة من جمع السيدات اللطيفات، ونظرة (ميريام) نحوه تتعاظم وتزداد حنانًا وألفة.

- لا بُد أن أربي قطًّا في محلي الجديد.

- تُربِّي قطًّا! لماذا؟ كي يصطاد الفئران؟! علقت الخالة (لاركنس).

- لا، سأربي قطًّا ليجلس على إفريز النافذة في خمول، ويلعب معي في وقت الفراغ. سيكون محلا بسيطًا جميلًا، مجرد نافذة عرض صغيرة، ومنصة بيع، وباب يصل بالمنزل، والسيدة (بولي) تقلي القليل من شرائح اللحم لأجل غداء خفيف.

قاطعته خالته:

- ولكن، مَن هي السيدة بولي؟

فأجاب حالمًا:

- لا أعرف، بالنسبة لي هي موجودة، لكنها ما زالت بلا وجه وبلا اسم، لكنها موجودة، أراها وهي تعتني بأشجار صغيرة، وتزرع الزهور.

قالت (ميريام):

- زهور الكناريا؟

فقال (بولي) مُرددًا:

- زهور الكناريا.

راح يحكي عن المحل وعن أحلامه الوردية، وفجأة انتصب واقفًا، وهو يتجه ناحية الباب طالبًا الرحيل فجأة، فلحقت به خالته مُجِدَّة السير.

- اعذريني، ظننت أنني شممت رائحة حريق تصدر من دراجتي!

- حريق، لا هذا مجرد خيال، لا عليك، بالمناسبة، (ميريام) جاهزة للخروج.

قالت الخالة وهي تبتسم له.

- الخروج؟!! همس (بولي).

- نعم، الخروج للتمشية ومقابلة آني.

- آه، بالتأكيد، الخروج.

- عد للعشاء يا قريبي الحبيب.

- ربتت على كتفه، فأومأ برأسه مبتسمًا.

وهنا حضرت (ميني)، وقالت:

- ألفريد، أنا أفكر في تربية قطة.

فابتسم من جديد وغمز بعينه

- إذن فلنحصل عليهما معًا.

ثم نظر إلى المنازل المحيطة بهم وقال:

- عندما أحصل على محلي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

خرج (بولي) للتمشية مع (ميريام) في سلام، وراح يتحدث كثيرًا عن أحلامه بخصوص المحل، وهي تُجاريه وتتحدث معه بجدية عن أحلامه، وعن المحل الصغير، وهو يُردِّد تلك العبارة على مسامعها كل برهة.

- أظن أن المرء قد يكون سعيدًا في محله الخاص.

فتجيبه مبتسمة في كل مرة:

- بالتأكيد، سيكون مرتاحًا وسعيدًا.

دعته للجلوس قليلًا في أحد المقاعد الخشبية في الحديقة العامة، وراحت تتبادل معه الكلام عن أحواض الورود، وعن ما رآه في بورت ميردوك، وقد وضع ذراعه على المقعد خلفها، وأراح ساقيه قليلًا، وهي جالسة مقتربة منه، تنظر إليه من حين لآخر نظرة حالمة سعيدة، حتى قال:

- سيكون المرء مرتاحًا، إذا وجد الصحبة المناسبة.

خيم صمت قصير، تصاعدت معه أنفاسها، حتى سمعها (بولي) تخترق روحه، بينما تقول قاطعة صمتها:

- نعم، إذا وجد الصحبة المناسبة.

لف جسده ناحيتها، ونظر في عينيها قائلًا:

- أنا الآن أرى أمام عيني صحبة مناسبة.

- ألفريد!

- أنا وأنتِ، والقط، ومحل صغير، وبيت هادئ.

احمرَّت وجنتاها، واختلج صدرها وهي تنظر إلى عينيه قائلة:

- ألفريد، هل أنت، هل أنت تحبني؟

- وماذا يمكن لرجل أن يجيب عن هذا السؤال سوى بـ.. - نعم.

اتسعت ابتسامتها، وأمسكت بكتفيه، ثم قبَّلت شفتيه في حب، دون أي اهتمام بالناس والأطفال والطرقات والزهور.

وضع ذراعه حولها وقبَّلها ثانية، وشعر بأن فعلًا لا رجوع عنه قد حدث الآن.

كان لديه شعور غريب بأنه سيكون أمرًا مُرضيًا للغاية أن تكون له زوجة، وبطريقة ما تمنَّى لو لم تكن (ميريام)، ولكن، يبدو أنها هي.

- لم أتخيل أن تكون أنا، توقعت أن تكون (آني) أو (ميني).

- لطالما أعجبت بك أنت أكثر منهما بكثير.

- وأنا أحبك يا ألفريد، أحبك منذ اليوم الأول، منذ رأيتك في جنازة أبيك المسكين، عيناك كان بها شيء مختلف، وعرفت أن كل المزاح والكلام أمر يخفي رجلًا مختلفًا.

ابتسم لابتسامتها وكلامها الحساس.

- هل تعني ما تقول، أن نتزوج ونحصل على المحل؟!

- فور أن أجد المحل، سنتزوج.

- لم أشعر للحظة أنك ستقول هذا.

- ولا أنا، لكنه حدث.

- ألفريد، إنه حلم جميل، لا بُدَّ أن ألكم وجهي حتى أصدق، لا أدري ماذا سيفعلون في المنزل عندما أخبرهم بذلك..

ثم صمتت بُرهة وهي تنظر إليه في هيام.

طوال حياته، لم يستطع السيد (بولي) لاحقًا، أن يخبرنا بما شعر وقتها.

هل هي آمال النجاح أم ذعر الندم؟!

بينما (ميريام) تكمل:

- أمي ضعيفة للغاية في تدبير المنزل، و(ميني) كسولة وسلبية أحيانًا، و(آني) دائمًا في العمل.

قاطعها (بولي) - لا بد أن يتعلموا كيف يدبرون أمورهم دونك.

قالها وهو ما زال متمسكًا بأسلحته المصوبة إلى قلبها.

في نفس اللحظة، دقَّت ساعة المدينة، فصاحت (ميريام) وهي تنتفض واقفة:

- سوف نفوت موعد (آني)، ونحن جالسون هنا نتبادل الغرام.

أمسكت بذراعه كي ينهض معها، لكنه ربت على يدها ومشى تاركًا مسافة بينه وبينها، حتى ظهرت (آني) من الأفق.

- لا تخبري أحدًا بما دار، ليس الآن.

- لا أحد، فقط أمي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

الأرقام، هي أكثر الأشياء الصادمة في العالم.

بعض تلك الخربشات السوداء، قد تتحول إلى أرقام مرعبة عن الرهون العقارية، أو تذكرة يانصيب تمنحك السعادة، أو رقم إصابات ووفيات مرعب فوق صفحات جريدة.

وهكذا، شعر (بولي) بالرعب عندما استعلم عن رصيده في البنك

298 بدلًا من 350.

لقد منحه هذا شعورًا بغيضًا كأن حجابه الحاجز قد صعد إلى حلقه، شعور يشبه إلى حد بعيد الإحساس الذي كان يشعر به بعد غدر التلميذة ذات الشعر الأحمر، شعور جعل جبينه رطبًا.

- كأني أغرق في دوَّامة همس بها (بولي) لنفسه.

راح يراجع تلك المصروفات، وأين بحق السماء أنفق اثنين وخمسين جنيهًا؟!

- ربما اللحم المشوي في الجنازة راح يُردِّد الأرقام والبنود.

إن الحلم السعيد الذي كان يعيش فيه أيامًا دافئة طويلة، وطرقًا مفتوحة، وساعات غير محدودة من المَرَح بلا رادِع، ووقت لا نهائي للبحث عن المُتعة، تلاشى مثل شيء مسحور.

عادَ فجأة إلى العالم المادي القديم الصعب، الذي يتطلَّب العمل، والنطاق المحدود من الإنفاق، الذي يُبدِّد الضحك، ورأى (وود ستريت) وعلاماته المخيفة تتثاءب تحت قدميه مُوشكة على بَلْعِه.

ثم إنه وعد (ميريام) بالزواج، وهو بالفعل يريد ذلك.

بعد العشاء، عندما أعلنت السيدة (جونسون) أنها ستنام مبكرًا بسبب الصداع، فتح الحوار مع قريبه السيد (جونسون).

- كنت أقود دراجتي في الجوار مفتشًا عن بعض الخيارات، لكني أريد المحل الآن.

ردَّ (جونسون) في هدوء:

- هل تتذكر ما قلته لك؟

- نعم يا صاح أتذكر، والآن أريد أن أتناقش في الأمر، في رأيك كيف ستكون الأرقام، التكلفة؟

التفت (جونسون) نحوه:

- هل أنت جاد في هذا؟

- نعم يا رجل، والآن أخبرني عن الأرقام.

نهض (جونسون)، وأتى بدفتر وقلم، وقال وهو يجلس:

- دعنا نجري بعض الحسابات. دعنا نرى ما الحد الأدنى للمصاريف.

راح يُجري الحسابات، و(بولي) جالس بجواره، يُجادله في المصاريف، و(جونسون) يشطب هذا ويزيد هذا، وعينا (بولي) تُراقب الورقة، و(جونسون) يحاول إثناءه عن فكرة تأجير المنزل مع المحل، والإقامة في غرفته وحيدًا كما هو في منزل (جونسون)، بينما (بولي) يفكر في (ميريام)، ووعوده، والكثير من الاضطراب وعُسر الهضم في معدته.

وفي النهاية، نهض (بولي) وقال:

- النوم، النوم هو الحل لصفاء الذهن، أعطني هذه الورقة.

وتمنَّى له ليلة سعيدة، وصَعِد لغرفته.

كانت ليلة مُروِّعة.

كانت مثل ليالي نهاية العطلة السنوية أيام المدرسة، لكنها كانت أسوأ بلا شك.

كان الأمر أشبه بنظرة سجين وصل حديثًا إلى السجن، على الأشجار والشوارع عبر بوابات السجن. كان عليه أن يعود إلى الشقاء والعمل من جديد، وفي بعض الأحيان وجه (جونسون) وإيماءاته، والأفكار السوداء عن الأموال التي تسيل من جيبه، وكل تلك الأفكار السوداء، كانت تقوده نحو ذلك المحل الضيق غير المرغوب فيها في الزاوية بالقرب من المحطة.

- اهرب إلى البحر. قالها لنفسه، لكنه يعرف أنه لا يملك الشجاعة الكافية لذلك.

- أذبح نفسي؟ بسيطة، بقطع عنقي بسكين. لكنه لا يملك الشجاعة لذلك.

كل تلك الأفكار السوداء عن خسارته أمواله، راحت تقض مضجعه.

في الصباح، نزل للإفطار مع آل (جونسون)، وهو يشعر بأن الإفطار أمر غير مرغوب فيه للمرة الأولى في حياته.

- والآن يا صاح قال (جونسون) وهو يُقلِّب الشاي.

- سأُقلِّب الأمر في رأسي، يومًا أو يومين أجاب (بولي).

- إذن، فأنت تخاطر بضياع المكان. قال (جونسون) بلا اهتمام.

كانت هناك أوقات في تلك الأيام القليلة الماضية مِن الخجل فيما يتعلق بمصيره، عندما بَدَتْ له خطوبته المستقبلية أقل الظروف أهمية، وكانت ليالي شريرة ونذير شؤم، لدرجة تجعله يفكر في الانتحار.

وكانت هناك أوقات أيضًا رغب فيها بشكل واضح جدًّا في الزواج، والآن بعد أن وصلت الفكرة إلى رأسه، أصبح راغبًا فيها بأي ثمن، كما حاول أن يتذكر كل مُلابسات عرضه، مرة تلو الأخرى، ولم ينجح أبدًا في تذكُّر ما تسبب في الأمر.

ذهب إلى ستامتون بشكل متكرر، وقبَّل كل أبناء عمومته على خدودهم، و(ميريام) على وجه الخصوص كثيرًا، ووجد ذلك مثيرًا ومنعشًا للغاية.

يبدو أنهم يعرفون جميعًا؛ و(ميني) كانت تبكي أحيانًا، وقد قابلته السيدة (لاركنس)، وغمرته بدفء غير مرغوب فيه من ناحيته، بل وأحضرت المربى المنزلية مع الشاي علامة على الحفاوة.

لم يستطع أن يحسم أمره في التوقيع باسمه على أي ورقة تتعلق بالمحل، رغم أنه دار حوله بالقرب منه طوال الأيام التالية، وعلى الرغم من أن مسودة الاتفاق قد جهزت مع مكان توقيعه المشار إليه بالقلم الرصاص.

وفي أحد الأيام، حزم حقيبة صغيرة فيها بيجامته البيضاء، وفرشاة أسنانه، وقال للسيدة (جونسون) إنه سيغيب ليومين كي يريح عقله ويصفي ذهنه.

ثم ركب دراجته، وانطلق نحو الجنوب الإنجليزي، نحو الساحل، نحو قرية صغيرة تُدعَى (فيشبورن).

وبعد أربعة أيام، عاد إلى إيزوود وهو يحمل الأخبار، وقال مخاطبًا (آل جونسون):

- لقد اتخذت قراري، مكان صغير في (فيشبورن)، وأنا أتخيل أنه يناسبني بشكل ممتاز.

ثم صمت قليلًا، وهو يجول بعينيه في وجوه السيد والسيدة (جونسون) قبل أن يقول:

- وكذلك، سوف أتم زواجي في ستامتون. واحدة من بنات الخالة لاركنس.

- زواج؟! قالها (جونسون) رافعًا أحد حاجبيه.

- نعم يا صاح، الأجراس بدأت تدق.

طوال هذا الحوار القصير، كانت السيدة (جونسون) تُظهر الضيق والغضب على وجهها، بينما تابع (جونسون) وهو يدَّعي الانشغال بشيء ما.

- في النهاية هذا شأنك يا رجل، وأرجو ألا تندم حين لا ينفع الندم لاحقًا.

وفي لحظة، انفجرت السيدة (جونسون) قائلة في غضب:

- في الحقيقة، أنا لا أدري ما فعلناه تحديدًا كي تُعاملنا كالمعاتيه، وتُخفي عنا خططك المستقبلية، فزوجي وأنا قد فعلنا الكثير كي نبقيك مرتاحًا ومستقرًّا، لكنك بمنتهى عدم اللياقة، تسلَّلت من المنزل في أحد الأيام، وذهبت للحصول على محلك الخاص من وراء ظهورنا، وكأننا كنا ننوي سرقة مالك!

ثم ارتفعت حِدَّة صوتها متابعة:

- لم أكن أتوقَّع منك ذلك يا ألفريد! ثم ألم تفكر في تلك الغرفة التي تحتلها؟ ألم تفكر في أن الموسم قد مرَّ ولن أتمكن من تأجيرها بعد أن تخليها هكذا فجأة؟! الآن تريد الرحيل هكذا بلا أي تعويض! يبدو

أن (هارولد) متساهل معك بشكل كبير، لقد كان دائمًا ما يفكر في أمورك أنت ليلًا ونهارًا، بدلًا من أن يهتم بأموره الخاصة، والآن أنت تفعل ذلك بلا حتى كلمة شكر!

ثم أنهت خطابها الهجومي، وراحت تلتقط أنفاسها.

لكن (بولي) قال في برود:

- في الواقع، لم أكن أنا شخصيًّا أتوقع ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

كان زواج السيد (بولي) نابعًا من أرضية معينة، فقد حاول أن يطمئن نفسه أنه كان يتصرف بإرادته هو، ولكن في مؤخرة رأسه، يقبع إدراكه الكامل لعجزه عن مقاومة الظروف الاجتماعية الهائلة التي تُحيط به.

كان عليه أن يتزوج تحت إرادة المجتمع، كما في الماضي، دائمًا ما يوضع تحت ضغط المجتمع، ودائمًا ما يكون دائرًا في فلك شموس أخرى، ويُعلّق من كعبيه كفريسة حتى يحترق بنارها.

كان يُفضِّل بلا حدود دورًا أقل التزامًا وأقل وضوحًا، لكن الخيار لم يعُد مُتاحًا له.

لقد بذل قصارى جهده لأداء دوره، واشترى بنطالًا ذي مربعات أنيقة بشكل خاص للقيام بذلك، وربطة عنق رمادية وزرقاء، أما باقي زيه، فكانت الأشياء التي كان يرتديها في جنازة والده؛ لذا فإن الفرح والحزن البشري بالنسبة له دائمًا ما كانا متساويين.

حضر الكثيرون من أصدقاء (ميني) و(آني)، والكثيرون من الأصدقاء والجيران، حتى (جونسون)، حضر بلا أي تعبير على وجهه وعينيه الرماديتين سوى الجمود والبرود، وراح يُراقب كل شيء يدور بلا أي اهتمام.

إلا أنه أصَرَّ على أن يكون قريبًا من (بولي)، وأن يتصرف كأنه (إشبينه).

ثم جاءت العروس.

وقعت عين السيد (بولي) على العروس أولًا، وقد ملأه المشهد بخليط عاطفي غريب من القلق والرغبة والمودة والاحترام، وإحساس غريب من الكراهية بسبب دورها في تلك الدوَّامة المعقدة.

جعلها الفستان الرمادي غريبة عنه، وجعلها مُتيبِّسة وعادية للغاية وخالية من أي سحر خاص، وهناك أيضًا شيء لم يُرضِه في زاوية قبعتها؛ لقد كانت بالفعل قبعة سيئة التصميم بها وُرَيْدات كبيرة بلا هدف من اللونين الوردي والرمادي.

- هذه أفكار العجوز لاركنس! هكذا قال لنفسه.

وعندما سمح له الرجل البدين الموحي بالسيطرة، السيد (فالس)، أن يقف بجوارها لتبدأ المراسم، شعر بأنفاسها قريبة من أذنه، فهمس لها:

- هالو، تُبدين رائعة في هذا الرداء الرمادي.

- لست متأكدة.

- همست بها (ميريام) من خلف غطاء وجهها الشفاف، المتصل بالقبعة الغريبة.

- أنتِ ممتازة.

- قالها وهو يقاوم حسه الانتقادي، ويقاوم أن تهرب الكلمات من بين شفتيه، وسهل سعلة بسيطة، كأنه يخلي حلقه من شيء ما.

راحا يتقدَّمان نحو المذبح، حتى يُتمَّان مراسم الزواج، ولفت نظره وقفة القس المتحفظة، ثم جال برأسه خاطر غريب، فلا بُدَّ أن هذا الرجل قد حضر العديد من الزيجات، ولا بُدَّ أنه يشعر بالأسف عليهم جميعًا!

- انتبه إليَّ ولا تُشتِّت رأسك. قالها القس هامسًا.

- هل أحضرت الخاتم؟ همس بها الإشبين الغاضب، السيد (جونسون).

- في هذا الجيب، لا بل في الجيب الآخر. قالها (بولي)، وهو يتحسس جيب معطفه الأسود المطرَّز بالساتان.

ثم بدأت الشعائر المعتادة، تبعتها المراسم والكلمات والأسئلة والأجوبة من بين شفتي (بولي) و(ميريام)، ثم ختم المراسم بإعلانهما:

- زوجًا وزوجة.

كان (بولي) يظن أن كلمة "فليساعدني الرب" ستأتي قريبًا كالقسم أمام القاضي.

وبعد إتمام المراسم، تأبَّط السيد (فاوليس)، الذي عدَّ نفسه وكيلًا قانونيًّا للعروس، ذراع السيد (بولي) وقال:

- والآن يا بُني، يتبقى لك أن توقِّع على السجل، ثم تأخذ عروسك وترحل.

(ميريام) أصبحت زوجته برباط لا ينحل، يا له من أمر صادِم مفرح مفجع.

ولسبب ما كانت (ميريام) والسيدة (لاركنس) تبكيان، وكانت (آني) تنظر إليهما بنظرة حزن عميق.

ألم يريدونه بعد كل شيء أن يتزوجها؟ لأنه إذا كان هذا هو الحال فقد حدث بالفعل.

ولأول مرة في ذلك اليوم، لاحظ وجود العجوز العم (بنتستيمون) في الخلفية، لكنه الآن يقترب منه، مرتديًا ربطة عنق بلون أزرق معدني فاتح، ويبتسم بشكل غامض وحكيم، وهو يلعق بطرف لسانه أسنانه العلوية الذهبية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

بعد المراسم، بدأت قوة شخصية السيد (فاولس) تظهر قيمتها الحقيقية، فقد بَدَا وكأنه جنرال عسكري يُدير العرس كمعركة من عصور ما قبل النهضة.

قاد السيد (بولي) إلى السجل من ذراعه، ثم حصل على كراسي للسيدة (لاركنس) وزوجته. ثم توجه نحو (ميريام)، وعَانَقَهَا وقبَّل خَدَّها المتورِّد.

غلب ارتباك واضح على السيد (بولي)، كأنه رهينة أو أسير حرب، وراح يبحث عن ملجأ من هذه الأشياء، حتى وَجَدَهُ في أحضان السيدة (لاركنس)، ثم في حالة من الرطوبة والبَلَل، وجرى الاستيلاء عليه وتقبيله من قبل (آني) و(ميني) بغزارة على خديه، بينما قبَّل السيد (فاولس) السيدة (فاولس)، الصامتة تمامًا وقال:

- إلى المنزل، مرة أخرى السلامة والعافية!

ثم مع صرخة مروعة غريبة من السيدة (لاركنس)، وضعت مزيدًا من القبلات على خد (ميريام)، وقبلت (آني) و(ميني) بعضهما البعض، وذهب (جونسون) فجأة إلى باب حجرة القس، وغمغم السيد (فاولس) بكلمات ما، وأحدث نوعًا من الضوضاء والهسهسة بأسنانه، وفي هذه الأثناء حك القس خده بإحدى يديه وعبث بالقلم باليد الأخرى، وسعل الشماس محتجًّا على الضوضاء.

بينما راح (فاولس) يصفق بيديه، وهو يطلب من العروسين الاتجاه إلى العربة، والرحيل إلى منزلهما بلا مشي هذه المرة، وراح يُرتِّب وقفتهما ومشيتهما، وحتى تأبطهما لذراعيهما!

صرخت (آني) منزعجة:

- ونحن، ألن توصلنا بعربتك إلى المنزل؟

فأجابه (فاولس):

- ليس اليوم يا صغيرتي، ربما في يوم آخر.

- هراء، فأنا لن أتزوج أبدًا.

- ليس بإرادتك يا صغيرتي، فستضطرين لها يومًا، إرضاء للجماهير.

ثم غمز لها (فاولس) مستظرفًا.

بينما حدجت (لاركنس) العجوز (بنتستيمون) بنظرات شامتة، فقال هامسًا لـ(جونسون) وهو ينظف أسنانه بطرف أصبعه:

- لم تتوقع حضوري، أليس كذلك؟

قال (جونسون) غير مرتاح:

- لا أعرف.

- أفترض أنه طُلب منك أن تبدي رأيك. كيف كان؟

- لقد كنت صامتًا.

صمت العم (بنتستيمون)، واستغرق في التفكير للحظة. وأضاف:

- أتيحت لي فرصة رؤية العجائب.

ثم أضاف مستظرفًا:

- واحدة من الفتيات تحصل على زوج. هذا ما أعنيه بالعجائب.

- لا شيء يهم عقب (جونسون) في برود.

خرج العروسان من باب الكنيسة، ولاحظ السيد (بولي) حشدًا من البالغين لا يتجاوز الخمسة، وأكثر من خمسين طفلًا، يحملون في أيديهم أشياء ما لم يتعرفّها، وبدا قلقًا من ما يمكن أن تكون، حتى تُلقي في وجهه حفنة من الأرز داخل كيس من الورق، لطمته على وجهه، فشعر ببعض الدوار.

سمع صرخة غضب من السيد (فاولس):

- ليس الآن أيها المعتوه الصغير، ليس الآن.

لكنه بالرغم من ذلك فإنه تلقى كيسًا آخر في قبعته، والسيد (فاولس) يواصل الصراخ:

- ليس الآن!

فهم (بولي) الآن، أنه سوف يكون هدفًا لمجموعة من الأطفال الملاعين، سيلقون عليه أكياسًا من الأرز تقليدًا معتادًا في إتمام المراسم؛ لذا فقد صرخ في عروسه طالبًا منها أن تضع منديلها على وجهها، ثم وقف أمامها وهو يضع قبعته على وجهه.

- الآن

صرخ بها الجنرال (فاولس).

وبعد وابل من الأرز، رفع (بولي) عينيه، ليجد إحدى عربات الترام على وشك ضرب عربة العرس السعيد، بينما الجميع يركض هاربًا من حبات الأرز اللاسع داخل أكياس ورقية رخيصة.

الأختان والخالة العجوز، والسيدة (بانت)، بينما ابنها الصغير يركض نحو اللا شيء، والعم (بنتستيمون) يقف بعيدًا وهو ينظر إليهم في سخرية، بينما مَرَّ رجل شرطة مترجل، وراح يصرخ في الجميع ليتفرقوا، والرجل الصارم، جنرال العرس يصرخ في الجمع:

- أنا المسئول عن هذا الأرز، أنا مَن أحضرته، أنا رجل يحب التقاليد.

توترت الأحصنة، وانحرفت بالعربة مرارًا، حتى كادت تصدم راكب دراجة يمر، وهو يحاول تنبيه قائد العربة بالجرس.

وكان هذا آخر ما راه (بولي) من أمور العرس المبارك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(6)

توقفت العربة أمام منزل (لاركنس)، وطلب السيد (فاولس) من (بولي) أن يُمسك بلجام الحصان بُرهة، حتى إدخال بعض الأغراض للمنزل، قبل وصول الجميع.

ثم دخل إلى المنزل مع (ميريام)، وأغلق الباب خلفهم.

لبعض الوقت، ظلَّ السيد (بولي) وحده مع مسئوليته في الزقاق الصغير المسدود خارج منزل (لاركينز)، بينما كان الجيران يراقبونه من خلف ستائرهم.

كان واضحًا أنه رجل متزوج حديثًا؛ لذا لا بد أنه يبدو مثل الأحمق، وأن رأس الحصان شكلها سخيف وعينه منتفخة؛ تساءل عن رأي الحصان به، وما إذا كان يحب حقًّا الإمساك به والتربيت على رقبته، أم يعامل باحتقار كمجرد وسيلة انتقال بائسة؟

هل يعلم الحصان أنه متزوج؟ ثم راح يتساءل عما إذا كان القس يعتقد أنه مجرد حمار آخر، ثم ما إذا كان الشخص الذي يراقبه خلف ستائر الدانتيل في الغرفة الأمامية المجاورة رجلًا أم امرأة.

فُتح باب أحد المنازل، وظهر رجل كبير في السن يرتدي قبعة مطرزة، وهو يدخن غليونًا بشكل هادئ، وراح ينظر إلى السيد (بولي) لبعض الوقت بفضول خفيف، ولكنه مستمر. وأخيرًا قال:

- مرحبًا!

- مرحبًا.

- لا داعي أن تمسك الحصان هكذا!

- وحش غير قابل للسيطرة!

قال (بولي) في حماس.

- إنه لن يذهب إلى أي مكان بمفرده، ثم لا أحد غريب هنا كي تخشى عليه مِن السرقة.

أومأ (بولي) برأسه، ثم ترك اللجام، وجد السير إلى مدخل المنزل، عندما سمع الضوضاء الآتية من ناصية الشارع، ورأى الأخوات، والخالة العجوز، والعم (بنتستيمون) خلفهم مع (جونسون) بمسافة قليلة، والسيدة (بانت) وابنها الذي بدأ يطرق أبواب المراهقة مبكرًا.

فتحت (ميريام) الباب وقتها، ومع رؤيتها لـ(بولي)، اقتربت منه، فأحاطَ وسطها بذراعه وقبَّلها، لكن السيد (فالس) رفع عقيرته قائلًا:

- ساعدوني أولًا في نقل الأشياء للداخل، فأمامكم وقت طويل لفعل ذلك.

وبعد دقائق، امتلأت حُجرة الجلوس بالجَمْع الصغير، وبعض صديقات (ميريام)، وبعض الفتيات من الجيران، وراح الطعام والشراب يملآن أطباق وأكواب الجميع.

اقترب (بولي) من (جونسون)، الممتنع عن الأكل، بينما السيدة (بانت) تصرخ في ابنها الواقف الآن بجوار (بولي) من الجهة الأخرى.

- لا فطائر، قلت سابقًا إلا فطائر.

فقال (فاولس) عبر الغرفة:

- دعي الصبي يأكل ما يُحب، هذا احتفال.

- لست أنت من سيجلس إلى جواره عندما يمرض أيها العم (فاولس). قلت: توقف عن أكل الفطائر.

بينما قال العم (بنتستيمون) بفم ممتلئ:

- تبدو الفطائر جيدة ولا تُمرض.

اقترب (بولي) من ابن عمه هامسًا:

- لماذا لا تأكل؟ لماذا يظهر عليك الضيق لدرجة ألا تأكل شيئًا أو تشرب شيئًا؟! ابتهجْ يا رجل.

- لا يمكنني إبعاد الفكرة عن رأسي يا رجل، إنها غلطة، لقد كنت متسرعًا وأهوج، ولم تفكر جيدًا.

فرد (بولي) ساخرًا:

- دائمًا ما تمنحني أمنيات سعيدة، والآن، اشرب شيئًا حتى تبتهج قليلًا يا رجل.

راح السيد (فاولس) نصف المخمور يقترح النخب تلو الآخر، ويملا كأسه كاملة مع كل نخب، وهو يرفع صوته بشكل مزعج في كل مرة، ثم يجلس منكفئًا على الكأس وسط ضحكات هيستيرية من الجميع.

بينما صاحت الخالة بصوت حاولت جعله مبتهجًا وعظيمًا:

- لقد حالفه الحظ. تلك الفتاة هي كنز من الكنوز، وقد كدتُ أفقدها، حيث كانت في ذلك الوقت ثلاثة أعوام، وسقطت على الدرج بالكامل من أعلى إلى أسفل، وهي دائمًا جاهزة ومفيدة، ودائمًا منظَّمة، إنها كنز، ويجب أن أقوله، وكنزًا سأقوله، ليس أكثر مما تستحقه....

قُوطعت الخالة (لاركنس)، بصوت كف (فاولس) يضرب المائدة من جديد، فقد رزق السيد (فاولس) بفكرة نخب جديدة، فانتصب واقفًا في صعوبة، ممسكًا بالزجاجة مرة أخرى، وقال في صخب:

- نخب والدة العروس، السيدة لارك.. ارك.. ارر.. والدة العروس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(7)

كانت غرفة الجلوس، الصغيرة القذرة، خانقة ومزدحمة إلى أقصى حدودها، وكانت سماء السيد (بولي) مظلمة بأحاسيس مضطربة، وبَدَا الجميع صاخبين وجشعين ويقومون بأشياء حمقاء.

(ميريام)، ما زالت ترتدي تلك القبعة غير اللائقة حتى الآن، برغم أنهم سينطلقون إلى المحطة معًا بعد قليل، وقد جلست بعيدًا عن السيدة (بانت) وابنها، التي تُردِّد حكايات عن أيامها في المستشفيات، وراحت (ميريام) تنظر إليه مرارًا وتكرارًا بابتسامة مُشجِّعة بشكل متعمد، وبمجرد أن استندت إلى ظهر الكرسي الذي يجلس عليه، همست بمرح:

- قريبًا نكون معًا بمفردنا.

أما بجانبه، فقد جلس (جونسون) صامتًا بعمق غريب، ثم تجلس (آني)، التي تتبادل حديثًا صاخبًا مع صديقة لها.

كان العم (بينتستيمون) يأكل بنهَم شديد، وينظر نظرات ملتهبة لـ(آني)، بينما جلست السيدة (لاركنس) بجانب السيد (فاولس)، وصرحت بأنها لم تكن قادرة على تناول لقمة، كان ذلك سيخنقها، ولكن مرارًا وتكرارًا كان السيد (فاولس) يحثها على ابتلاع قطرة صغيرة من الشراب.

وهناك الكثير من الأرز على الجميع، في قبعاتهم وشعرهم وثنايا ثيابهم.

خرج (بولي) يدخن سيجارًا، ليجد العم العجوز (بينتستيمون) قد لحق به، وهو يُسلِّك أسنانه بطرف أظافره.

شعر السيد (بولي) بعدم قدرته على الكلام، لكن الأحداث التي وقعت في ذلك اليوم حرَّكت ذهن العم (بينتستيمون) إلى الكلام.

وهكذا تحدث، بشكل استطرادي وغير مُتصل، مع قليل من الاهتمام بمستمعه الشاب، كما يفعل كبار السن من الحكماء هذه الأيام.

قال العم (بنتستيمون):

- إنهم يقولون، جنازة واحدة تفعل الكثير.

- لكن هذه المرة إنه حفل زفاف. غمغم (بولي)، فقال العم (بنتستيمون) من جديد.

- لكن الأمر كله كثير جدًّا... إنني أتعامل مع أسناني هذه الأيام بحرص، ولكن لا أستطيع فهم ذلك... الأمر كما لو كان هناك خيوط أو أنسجة أو ما شابه ذلك عالقة بينها، إنه في النهاية طعام عادي.

ثم نظر في عيني (بولي) متابعًا:

- هذا أفضل. عليك أن تتزوج، لقد فعلت ذلك قبل وقت طويل من أن أصبح في عمرك. لا يجب أن ألومك. لا يمكنك أن تكون من النوع المحب للزواج أكثر مني، أما بالنسبة لفائدته، فلا يوجد فيه منفعة

معينة كما أرى. إنه حالة تنتهي في النهاية بالإهمال الشديد أو بالغضب الشديد، وكلما كان الطقس حارًّا كان البرد أسرع، لكن الجميع سئموا منه عاجلًا أم آجلًا، على فكرة، ربما أفكر في زواج ثالث وأنا في هذه السن، من يدري، آه، ولا تقلق أبدًا من إنجاب الأطفال أبدًا....

ثم سرح ببصره قليلًا نحو الشارع، وتابع العم (بنتستيمون):

- لقد رأيت الفتيات اللطيفات تخطئن المسار كثيرا. ثم أضاف بلياقة غير معتادة منه.

- لا أعني أنك حصلت على واحدة من هذا النوع.

ابتسم (بولي) ابتسامة مضطربة، ثم اطفأ سيجارته مستعدًّا من جديد للانغماس في تلك الضوضاء اللعينة.

بينما قال العم (بنتستيمون)، مُلخِّصًا الملاحظة الذكية التي اكتسبها من خبرته في الحياة داخل العالم القديم المتهالك:

- يجب على الرجل تقويمهن، مهما كانت أخلاقهن.

ثم تابع العم (بنتستيمون) وهو يرفع صوته بلا خوف:

- كن جيدات أو سيئات، على الرجل أن يقومهن!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(8)

أخيرًا، حان الوقت لكي يستقل الشابان القطار المتجه إلى واترلو في طريقهما إلى فيشبورن، وقد كان عليهما الإسراع، وكختام لمراسم الزواج الفخمة، سافرا من الدرجة الثانية، وودعهما جميع مَن في الحفل، باستثناء السيدة (بانت)؛ لأنها الآن ليست على ما يُرام.

خرج القطار من المحطة، وظل (بولي) يُلوِّح بقبعته، والسيدة (بولي) تُلوِّح بمنديلها حتى اختفى القطار تحت الجسر.

لكن الشخصية المُهيمنة حتى آخر لحظة، السيد (فاولس)، تبعهم على طول الرصيف وهو يُلوِّح بقبعة الفروسية الرمادية، ويُرسل قُبلات في الهواء للعروس.

استرخيا في مقعديهما داخل المنصة، وفكر (بولي) في أن الأموال التي دفعت في شراء الأرز العالق في ثيابهم، كانت لتكون مفيدة في ترقية درجة القطار.

قطعت (ميريام) أفكاره قائلة:

- ألا تُقَبِّلني الآن يا ألفريد؟ الآن نحن وحدنا معًا؟

- بالطبع، تعاليْ إلى هنا أيتها الفاتنة.

لكن السيدة (بولي) صرخت:

- انتبه، سوف تتلف قبعتي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السابع
المتجر الصغير في فيشبورن

(1)

طوال خمسة عشر عامًا، كان السيد (بولي) صاحب متجر له احترامه في فيشبورن.

سنوات كان كل يوم فيها مملًّا، وعندما مرت هذه السنوات، مرت كأن الأمر كما لو كانت قد مرَّت في ومضة، لكن الآن لم يعُد لدى السيد (بولي) ذلك المظهر الجيد، فقد كان -كما وصفته في بداية هذه القصة- سبعة وثلاثين عامًا، سمينًا بطريقة غير صحية للغاية، باهتًا ومصفرًّا مع تجاعيد ساخطة حوله عيونه.

جلس على التلة في فيشبورن، وصرخ في السماء من فوقه:

- أوه! حفرة فاسدة وحشية سخيفة!

وكان يرتدي معطفًا وسترة سوداء رثة إلى حد ما، لكن ربطة عنقه كانت رائعة للغاية، من المخزون القديم، وقبعة الجولف الخاصة به تنحرف فوق عين واحدة.

بعد خمسة عشر عامًا، ربما بَدَا لك أن الزهرة الصغيرة الشاذة لخيال السيد (بولي) لا بُدَّ أن تكون ذابلة وميتة تمامًا، ولم يتبقَّ منها بذرة حية في أي جزء منه، لكنها في الواقع لا تزال تعيش كرغبة لا تشبع لتجارب مُشرقة ومُبهجة، وللجوانب المشرقة للأشياء، كان لا يزال يقرأ الكتب عندما سنحت له الفرصة، والكتب التي تحكي عن الأماكن المجيدة في الخارج والأوقات المجيدة المسلية، لكن للأسف! لا يوجد الكثير من هذه الكتب، وبالنسبة للصحف والأدب الرخيص الذي انتشر أكثر فأكثر في العالم، لم يكن لدى السيد (بولي) اهتمام كبير تجاهه.

لم يكن هناك مَن يتحدث إليه؛ لأنه لم يكن يحب الكلام، وكان عليه أن يهتم بمتجره فقط.

لقد كان متجرًا صغيرًا مترديًا منذ البداية، وقد أخذه هربًا مِن عذاب اختيارات (جونسون)، ولأن فيشبورن كانت مكانًا مسيطرًا على خياله.

لقد تجاهل الغرف الضيقة سيئة البناء للمنزل، وإزعاج وجود المطبخ تحت الأرض، والساحة الضيقة خلفه.

تجاهل الجلوس المُمل والانتظار للزبائن القلائل، وتحمل آثار التجارة المقيدة.

لقد تخيل نفسه و(ميريام) في البداية وهما يتناولان الإفطار في صباح شتاء صافٍ، وسط رائحة نفاذة مِن لحم الخنزير المُقدد، ثم تناول الكعك مع الشاي، وكان يفكر أيضًا في الجلوس على الشاطئ بعد ظُهر يوم الأحد والذهاب في نزهة في الريف خلف البلدة وجمع المرغريتات والخشخاش. لكن في الواقع كان هو و(ميريام) مختلفين للغاية في وجبة الإفطار، ولم ترغب أبدًا في الكعك في أثناء تناول الشاي، وقالت: إنها لا ترى أن الأمر يبدو جيدًا، للذهاب في نزهة ريفية يوم الأحد.

كان مِن المؤسف أن (ميريام) لم يُعجبها المنزل عندما رأته، ولم يعجبها كثيرًا عندما كانت تستكشفه.

قالت:

- هناك الكثير من السلالم، وسيؤدي الفحم الموجود بالداخل إلى بذل الكثير من العمل.

- لم أفكر في ذلك.

- سيكون منزلًا صعبًا في الحفاظ على نظافته، فبالرغم من أن الطلاء الأبيض جيد جدًّا فإنه يُظهر الأوساخ بشكل واضح.

قال (بولي) مُعقِّبًا وهو يحاول تجاهل ملاحظاتها:

- انظري إلى المكان هنا، حيث قد يكون لدينا بعض الزهور في أصص فخارية.

- لا أحب الزهور، وقد كان لديَّ العديد من المشكلات مع (ميني) وزهورها.

مكثوا أسبوعًا في نزل رخيص قبل أن ينتقلوا للعيش فيه، وقد اشتروا بعض الأثاث في ستامتون، معظمه مستعمل، وأدوات مائدة رخيصة جديدة وأواني خزفية وبياضات، وقد استكملوا ذلك من متاجر فيشبورن.

(ميريام)، راحت تعمل بحواجب منعقدة، سعيًا وراء نموذج مثالي لـ- الاستفادة من كل شيء بشكل صحيح. بينما كان السيد (بولي) يمنح كل وقته لترتيب المحل بحماس، وبمجرد أن جهز المتجر ملأ النافذة بملصقات دعائية، وكان مصممًا على أن يظهر لسكان فيشبورن ما يمكن أن يفعله تزيين النوافذ، وفي يوم الأحد الأول من هذه الحياة الجديدة، قام هو و(ميريام) بالتأنق بعناية، وذهبا إلى الكنيسة بشكل رسمي، وهما زوجان أكثر احترامًا من كل زوار الكنيسة.

في الأسبوع التالي، بدأت الأمور تستقر، وتوافد عدد قليل من العملاء، بشكل رئيسي لشراء ملابس السباحة والقبعات.

وأصبح السيد (بولي) تاجرًا معروفًا نوعًا ما في فيشبورن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

جمعت (ميريام) بين روح الجدية الصارمة وبين العجز عن فعل أي شيء.

لم يكن المنزل نظيفًا أو مرتبًا أبدًا، وكانت تطبخ لأنه كان لا بد من طهو الطعام، وتوقفت عن الاستماع إلى حديث زوجها منذ اليوم الذي تزوجته فيه، وتوقفت عن التخلص من الالتواء في جبينها في حضوره، مُسلِّمة نفسها للحالات العصبية المفاجئة، وظنها العميق أن زوجها مجرد رجل كسول.

بَدَا لها وكأنه يقف في المتجر كثيرًا، ليقرأ -وهي عادة كسولة بالنسبة لها- ويبحث حاليًّا عن رفقة للتحدث، وقد بدأ بالفعل في الذهاب إلى حانة جودبروفينس، وصار يفعل ذلك بانتظام في المساء، لكنه لم يحب أوراق اللعب، ولم يكن ماهرًا في بوكر الخمس بطاقات؛ لأنه دائمًا ما كان واضح الانفعالات، ولا يرهق عقله بمحاولة تزييف تعبيرات وجهه المسطح.

أما عن الكتب التي قرأها خلال خمسة عشر عامًا، فلقد قرأ كل شيء حصل عليه ما عدا اللاهوت، وبينما كان يقرأ، كان ينعزل عن حياته الصغيرة الفاشلة، وعادت إليه عجائب الحياة.

كان يهرب من روتين الاستيقاظ، وفتح المحل، والتظاهر بالحماس، وتناول الإفطار، والقهوة الرديئة التي تحضرها (ميريام)، وصحيفة الصباح، والوقوف عند الباب متحدثًا مع المارة والجيران، أو الحصول على القليل من الثرثرة أو مشاهدة زوار غير عاديين، مع القراءة، اختفت كل هذه الأشياء مثل اختفاء قاعة المسرح عند إضاءة المسرح. حصل على مئات الكتب أخيرًا؛ كتب قديمة متربة، وكتب بأغلفة ممزَّقة وأغلفة مثنيَّة، وكتب سمينة ظهرها عبارة عن خيوط عارية وغراء، قمامة معادية للسيدة (بولي).

إن الشيء الأساسي خلال هذه الخمسة عشر عامًا الطويلة من العمل في المتجر هو السيد (بولي)، الضائع في كتاب ما، أو المتثاقل في النهوض من خلف منصة البيع، كي يحصل على رزق لا يكفيه إلا الطعام.

في هذه الأثناء، نَمَا معه عسر الهضم حتى سيطر عليه طوال الوقت، وأصبح سمينًا وتدهور جسديًّا، واجتاح ضيق مزاجه سماءه، وظلمت أيامه، وأثارت الأشياء الصغيرة غضبه أكثر فأكثر، وتوقف عن الضحك، وبدأ شعره يتساقط حتى أصبح لديه مساحة كبيرة من الصلع في مؤخرة رأسه.

وفجأة، جاء ذلك الخاطر إلى رأسه ذات يوم، إنه كان في متجره هذا لمدة خمسة عشر عامًا بالضبط، وأنه سيبلغ الأربعين قريبًا، وأن حياته خلال تلك الفترة لم تكن تستحق أن تُحيا من الأساس، وأنها كانت منحصرة في محل ضيق رديء بائر التجارة، وأنها قبيحة التفاصيل، وأنها أوصلته أخيرًا إلى مرحلة ميئوس منها تمامًا.

مرحلة رمادية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

لقد أُتيحت لي الفرصة بالفعل أن أتحدث سابقًا عن ذلك الرجل النبيل رفيع المستوى، والذي يعيش في هايبري، يملك ساعة ذهبية، ويكتب معظم أفكاره في تلك الغرفة الجميلة، داخل مكتبة نادي الإصلاح.

هناك يتصارع مع ما يسميه (المشكلات الاجتماعية) بطريقة غير دموية، ولكن في بعض الأحيان، أظن أنه يجب على المرء أن يعترف، بطريقة واضحة للغاية، أن لديه فكرة ثابتة مفادها أن شيئًا ما يُسمَّى (الذكاء الجماعي) مطلوب في العالم؛ مما يعني عمليًّا أنه يتعين عليك أنت والجميع التفكير في الأشياء بشكل مستمر وتجميع النتائج، وإلزام أنفسنا بأن نكون واضحين بلا خَجَل، وأن نحرص على الصِّدْق والدعم والاحترام (افترض)، بدلًا من استخدام عقولنا بطريقة مائعة، للعب الجولف والبريدج، والتظاهر بروح الدعابة.

حسنًا، هذا الوحش العقلي ذو الرأس المستدير والساعة الذهبية، يدعي أن السيد (بولي) كان غير قادر تمامًا على فعل أي من الأمرين!

فيكتب مدعي الحكمة الاجتماعية:

- المجتمع سريع التعقيد، والذي يرفض ككل التفكير في مستقبله أو مواجهة المشكلات المعقَّدة لمنظومته، هو بالضبط في موقف الرجل الذي لا يفكر في النظام الغذائي أو الصحة الغذائية، ويمتنع عن النظافة السليمة، وممارسة الرياضة، بل إنه يعيش حياة لا طائل من ورائها، حيث يُراكم الإنسان في دمه الدهون والمنتجات التي تسبب له الأمراض، وينخفض في فعاليته الاجتماعية، وحيويته، ويخفي الانزعاج والبؤس خلف قناع مزيف. إن كل مرحلة من مراحل تطور هذه الشخصية تكون مصحوبة بحد أقصى من الضيق والإزعاج الذي يمكن تجنبه، كما أن الفضلات البشرية....

- لا شيء يمكن أن يبرهن بشكل أفضل على البلادة الجماعية لمجتمعنا، والحاجة الماسة لتجديد فكري مرهق من التفكير في تلك الكتلة الهائلة من الأشخاص عديمي الجدوى، وغير المريحين، ناقصي التعليم، وغير المدربين، والذين نسميهم بذلك المصطلح المضلل (الطبقة الوسطى الدنيا). نحن نحب تخصيص نسبة كبيرة من الطبقة الوسطى الدنيا للعاطلين عن العمل، لكنها ليست كذلك؛ لأن امتلاك بعض المال الصغير والمدخرات خلال فترة كسب الأجور، أو بوليصة التأمين أو رأس المال المماثل، يمنع وصفهم بالعاطلين تمامًا، لكنهم يفعلون القليل أو لا يفعلون شيئًا من أجل المجتمع مقابل ما يستهلكونه؛ ليس لديهم فهم لأي علاقة خدمة بالمجتمع، ولم يُدرَّبوا مُطلقًا لأي غرض اجتماعي.

- نسبة كبيرة من أصحاب المتاجر الصغيرة، على سبيل المثال، هم أشخاص منعدمو الكفاءة، لم يحصلوا على التدريب الكافي والافتقار التام لأبسط مهارات التجارة، فأسسوا متاجر لا داعي لها كطريقة لتنمية المدخرات التي يعتمدون عليها. إنهم يسعون لتحقيق ستين أو سبعين في المئة من نفقاتهم، والباقي مأخوذ من رأس المال المتقلص. إن حياتهم في الأساس عبارة عن إخفاقات، وليس الفشل الحاد والمأساوي للعامل الذي يخرج من العمل ويتضور جوعًا، ولكن عملية مزمنة بطيئة من الخسائر الصغيرة المتتالية التي قد تنتهي إذا كان الفرد محظوظًا بشكل استثنائي في فراش الموت،

قبل الإفلاس الفعلي. لقد جعل التطور العالمي للنقل والاتصالات تنظيم توزيع الأعمال على خطوط كبيرة اقتصاديًّا، أمرًا لا مفر منه؛ باستثناء حالات الارتباك الفوضوية للبلدان الناشئة حديثًا، فقد مضى إلى الأبد اليوم الذي قد يكسب فيه الرجل عيشًا مستقلًّا من خلال تجارة التجزئة غير المدربة.

- يحتوي كل عدد من كل نشرة تجارية على أربعة أو خمسة أعمدة من إجراءات الإفلاس، وكل اسم فيها يعني الانهيار النهائي لعائلة أخرى تستهلك من موارد المجتمع، وتستمر في إمداد جديد من الحرفيين ومساعدي المتاجر غير الضروريين، أغلبهم عاطلون عن العمل، يملكون مدخرات أو مساعدات من علاقات ما، أغلبها أرامل بأموال تأمين الزوج المُتوفَّى، أو أبناء غير مدربين لآباء فقراء، يحلون من جديد محل الذين سقطوا تعبًا وموتًا في المحلات سيئة التجهيز والمبنية في كل مكان....

لقد اقتبست هذه الأجزاء من أحد السادة الموهوبين الحكماء.

والآن، أعود إلى السيد (بولي) جالسًا على باب محله، غير مُدرَّب، غير مستعد، مرتبك، حزين، غاضب، لا يرى شيئًا سوى أن الحياة ترقص رقصة مجنونة مزعجة من حوله. لكن السيد (بولي)، ليس فردًا من كومة بشرية يجب محوها أو القضاء عليها.

السيد (بولي) لديه القدرة والرغبة في الفرح، وتذوق الجمال، وهو حريص أن يجد حياة كريمة سعيدة، مثلي ومثلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

لقد ألمحت إلى أن أمنا إنجلترا، قد جهزت السيد (بولي) للتعامل مع مخاوفه الداخلية بشكل أفضل مما كانت عليه لتوجيه شئونه الخارجية.

تقدم أمنا الغالية لأطفالها مجموعة متنوعة من الأطعمة لا مثيل لها في العالم، بما في ذلك العديد من التوابل والمعلبات المحفوظة.

قامت (ميريام) بالطبخ بمبدأ وطننا الأم، ونقلت له من خلال طبخها ونظام إطعامها الجميل، كل الرغبات في سفك الدماء وإقامة الحروب حول العالم، حتى إن السيد (بولي) قد انزلق إلى سلسلة من الكراهية والخلافات البغيضة مع مالك المنزل وتجار الجملة ومعظم جيرانه.

بَدَا (رامبولد)، تاجر الخزف المجاور، عدائيًّا من البداية دون سبب واضح، وكان يحب تفريغ بضاعته في قارعة الطريق بشكل فوضوي.

وفي أحد الأيام، بدأت المشاجرة، بعد أن أشعل طرفها السيد (بولي)، ودارت رحى الحرب بين الجارين.

- ارجع إلى متجرك ودعني أستمتع بعملي، وتوقف عن مناداتي بالخنزير. حسنًا، اكنس رصيفك ولا تزعجني يا بولي.

- جئت إلى هنا لتقديم طلب متحضر بأن تلتزم النظام.

- أتيت إلى هنا لأنه من الصعب عليك أن تفعل ذلك؛ أن تكون متحضرًا، وأنا لا أريد أي تعامل معك. حسنًا؟ أنا لا أحب مظهرك! حسنًا؟ ولا يمكنني الوقوف هنا طوال اليوم لأتجادل معك، حسنًا؟!

لم يقم السيد (بولي) بممارسة أي تعامل بشري مع (رامبولد)، لمدة خمسة عشر عامًا. لقد استمر فقط في الكراهية، كان هناك وقت بَدَا فيه أن (رامبولد) قد يغلق تجارته ويرحل، لكنه عقد اجتماعًا مع دائنيه ثم استمر في التفريغ بشكل فوضوي كما كان دائمًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

كان (هنكس)، السروجي، صاحب المتجر في آخر الشارع، حالة مختلفة، فقد كان (هنكس) هو الشرير هنا عمليًّا.

كان يظن أنه رجل رياضي، يرتدي سراويل ضيقة، ظانًّا أنها تُظهر عضلات ساقيه، والذي كان يصر على أنها تكونت من ركوبه المتكرر للخيل، لكنه عند سؤاله عن الخيل، يظهر بمظهر الجاهل كليًّا لأي شيء عن الخيل.

في البداية كان (بولي) يقابله في جودبروفنس، يتبادلان مشروبين ويثرثران، أو في الواقع، يثرثر (هنكس) فقط. وقد بدأ (بولي) يشعر بالملل، ويتهرب منه كثيرًا.

ومع ذلك، لم يتوقف عن الثرثرة مع السيد (بولي)؛ كان يأتي إليه عند بابه، ويتحدث عن الرياضة، والنساء، والملاكمة والخيل بفخر شديد، وقد منحه (بولي) بعض الأوصاف في خياله، مثل (السيقان المترجرجة) و(السيد مبالغ فيه)، وكان يضحك في سره عليها، ويقلب حروفها عندما يهمس بها في وجود ذلك السيد (هنكس).

بل إنه ثرثر كثيرًا مع صديقه الحداد، عن مبالغة (هنكس) في كل شيء، وعن كذبه المتكرر.

وفي أحد الأيام، جاء (هنكس) على باب المحل، وتلك النظرة الغاضبة تعلو وجهه الضخم.

- توقف عن ملاعبة لسانك وشفتيك بخصوصي، وكن رجلًا!

- لا أفهم ماذا تقصد؟!

فاقترب منه الثور الغاضب متابعًا

- ما الذي لا تفهمه؟ قلت لك: توقف عن الكلام عني وراء ظهري!

ثم كور قبضته في وجه (بولي)، والذي لاحظ تلك الندوب والالتواءات في أصابع الرجل، وشم منها رائحة قذرة.

بينما تابع (هنكس):

- إذا فكرت في القيام بأي محادثة عني، سأعطيك محادثة في عينيك لن تنساها أبدًا، هل فهمت؟!

- لا يمكنني تجميع ما تقوله كي أفهمه، ماذا تريد؟!

- توقف عن استخدام فمك القميء قليلًا، فهذه البلدة تحصل على أكثر ما تريد من فمك الثرثار، مفهوم!

ثم وضع قبضته في جيبه بهدوء شديد، وكأنه يخبئها لاستخدام مستقبلي، ثم استدار ماشيًا ببُطء نحو آخر الشارع.

ولم يعد للظهور أبدًا في حياة السيد (بولي).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(6)

فسدت علاقة السيد (بولي) مع جميع زملائه التجار عاجلًا أم آجلًا؛ بسبب بعض هذه الحوادث، حتى لم يبقَ له أي صديق في فيشبورن، وأثَّر هذا في تجارته كذلك.

حتى عندما أفلست أغلب المتاجر، وجاء أناس جدد، ونشأت معارف جديدة، عاجلًا أم آجلًا كان الخلاف حتميًّا، والتوتر الذي يعيش في ظله هؤلاء الجيران الذين يتغذون بشكل سيئ، ويعيشون بشكل أسوأ، جعل الخلاف والعراك أمرًا لا مفر منه.

إن مجرد حقيقة أن السيد (بولي) كان عليه أن يراهم كل يوم، وأنه لم يكن هناك مهرب منهم، كان بحد ذاته كافيًا لجعلهم يكادون لا يحتملون، بالنسبة لعقله الساخر الملول بطبعه.

مع زيادة اضطرابه الداخلي، وعُسر هضمه المزمن، أصبح يكره مشهد كل واحد من هؤلاء الجيران، وكان الجو لا طعم له بسببهم.

لقد فَقَدَ لُطفه الإنساني، وفي فترة بعد الظهر كان يحوم في المتجر شاعرًا بملل يكاد يقتله، ملل من عمله ومنزله و(ميريام)، ومع ذلك يخشى الخروج من باب المتجر؛ بسبب كُرهه الملتهب والمتضخم لهؤلاء الجيران.

حتى إنه وصل من كثرة تشاجره معهم، إلى الدخول في مشاجرة بالأيدي، أدت إلى اشتباك عنيف مثل الديكة المتصارعة مع صاحب محل لعب الأطفال، السيد (روسبر)، وصديقيه أصحاب محل البقالة، أدت إلى مثوله للتحقيق أمام مجلس المقاطعة، وقد خرج منها يحمل رسالة لوم وتقريع، وإنذار بالسجن.

خمسة عشر عامًا من المَلل، والإهمال، وانعدام الأصدقاء، والإهانة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(7)

لكن الاشمئزاز الذي طغى على كيان السيد (بولي) وهو جالس خلف منصة البيع، كان له تبرير آخر وأكثر عُمقًا غير مشاجرته مع جيرانه وإهانة المثول أمام مجلس المقاطعة. وللمرة الأولى في حياته المهنية كان ينقصه إيجار الشهر الذي يقترب، وبقدر ما يمكنه أن يثق في طريقة تعامله مع الأرقام، كان يملك ستين أو سبعين جنيهًا إسترلينيًّا على الجانب الخطأ من المعادلة المالية.

وكان ذلك نتيجة خمسة عشر عامًا من التجارة السلبية، وتضييع الوقت، طوال أفضل سنوات حياته!

ماذا ستقول (ميريام) إذا علمت ذلك، واضطر لمواجهة احتمال النفي والطرد من منزلهم الحالي؟

كان يعلم أنها كانت تتذمر وتوبخ، وتصبح مترهلة وغير مفيدة، وكانت ستقول إنه كان يجب عليه أن يعمل بجهد أكبر، ومئات من هذه الأشياء غير المجدية المثيرة للسخط. مثل هذه الأفكار تعمل جيدًا مع لحم الخنزير البارد غير المهضوم والبطاطا الباردة والمخللات، تعمل على تسويد الصورة بشدة، وبهذه الوسائل مجتمعة، كانت روحه قد أصبحت سوداء بالفعل.

راح يحاول التفكير في حل:

- أقتل نفسي؟ أنتحر؟! قالها هامسًا.

لقد كانت فكرة عادت إلى ذهنه هذه الأيام باستمرار، وخاصة بعد الوجبات وعسر الهضم، فالحياة التي شعر ليس لديها المزيد من السعادة لتقدمها له، لا تستحق أن تُعاش.

كان يكره (ميريام)، ولم يكن هناك مفر منها مهما كان سوى الموت، لكنه يتذكر لها بعض الوقت الذي كانت تعتني به فيه، وربما تستحق هي الأخرى شيئًا أفضل.

- المكان مُؤمَّن عليه، وحياتي مؤمن عليها؛ لذا لا ضرر على أحد مما سأفعله.

وضع يديه في جيوبه وقال:

- لا بد ألا أسبب أذى كثيرًا.

ثم بدأ في وضع خطة، وقد أصبح وجهه أقل بؤسًا، وتسارعت وتيرة عقله، وسرعان ما اختفى البؤس الغاضب من وجه السيد (بولي).

كان عليه أن يفعل الأمر بطريقة متقنة، وإلا فقد تكون هناك صعوبات بشأن التأمين على الحياة.

بدأ يُخطِّط كيف يمكنه الالتفاف على هذا الأمر، وقد مشى طويلًا؛ لأنه بعد كل شيء، ما فائدة الإسراع بالعودة إلى المحل، عندما لا تكون متعسرًا فحسب، بل تموت قريبًا جدًّا؟

فك عشاءه والرياح الشرقية السيئة، إحكام قبضتهما الشريرة على روحه، وعندما عاد أخيرًا على طول شارع فيشبورن هاي في الليل، كان وجهه لامعًا بشكل غير عادي، ويشعر بالجوع الشديد.

لذلك ذهب إلى البقالة واشترى علبة مزينة بشكل خشن من مادة تشبه الأسماك، لكنها ذات لون وردي زاهٍ، تُعرف باسم - سمك السلمون في أعماق البحار، وقد أكل بمفرده؛ لأن (ميريام) غضبت عليه متهمة إيَّاه بالإسراف، ثم حاول تدخين غليونه مرة أو اثنتين، وفي النهاية أوى إلى الفراش من مَلَل الوحدة.

نَامَ ساعة أو نحو ذلك، ثم استيقظ على التأمل في ظهر (ميريام) المنحني ولغز الحياة الأكثر انحناء، وهذه الفكرة الجذابة المشرقة المتمثلة في إنهاء كل الأشياء التي كانت تحبس روحه إلى الأبد، هذه الفكرة الساطعة التي أشرقت كنجم لامع، فوق ظلام بؤسه وحياته المملة المؤلمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثامن
وضع نهاية لكل شيء

(1)

صمَّم السيد (بولي) انتحاره بعناية كبيرة وإيثارًا رائعًا.

اختفت كراهيته العاطفية لـ(ميريام)، واتضحت فكرة الابتعاد عنها إلى الأبد في ذهنه، وقد وجد نفسه ممتلئًا بالحرص على رفاهيتها.

لم يكن يريد أن يشتري الإفراج عنه من العالم على نفقتها الخاصة، ولم يكن لديه النية لتركها دون حماية بعد زوج ميت بشكل مؤلم، ومتجر مُفلس، وبَدَا له أنه يستطيع تدبر أمرها ليضمن لها الاستفادة الكاملة من التأمين على الحياة والتأمين ضد الحريق للمحل الصغير، إذا أدار الأمور بطريقة جيدة.

لقد شعر بسعادة أكبر مما كان يشعر به لسنوات، وهو يخطط لهذا المشروع، وكان مندهشًا أنه تحمل رتابة البؤس والفشل لفترة طويلة.

ولكن كانت هناك بعض الشكوك والأسئلة الغريبة في الخلفية نصف المضاءة لعقله، والتي كان عليه أن يتجاهلها بحزم شديد.

- سئمت من هذه الحياة.

كان عليه أن يُكرر ذلك في حديثه لنفسه بصوت عالٍ، ليبقى تصميمه واضحًا وحازمًا. كانت حياته فاشلة، ولم يعد هناك ما تبقَّى سوى التعاسة. لماذا لا يفعل؟

كانت خطته أن يفتعل حريقًا بالسلالم المؤدية من الطابق الأرضي إلى المطبخ والحمام تحت الأرض. هذا سوف يزيد الحريق اشتعالًا، وينشر النار بسرعة في قبو الفحم تحتها. كان عليه أن يصنع حفرة في سقف القبو لتهوية النيران، ولديه كومة جيدة من الصناديق والورق، وبعض القماش سريع الاشتعال في المتجر أعلاه.

سيقوم بتحطيم مصباح المنزل الممتلئ بالكيروسين على الدرج؛ ويبدو السبب الظاهري لبداية الحريق هو سقوط المصباح من يده، ثم يسقط نفسه من أعلى الدرج متدحرجًا على السلم نحو المطبخ، ويقطع حلقه بالسكين، ويصبح المطبخ محرقة جنازته، فتتلاشى أي آثار لذبحه نفسه.

كان سيفعل كل هذا مساء الأحد بينما (ميريام) في الكنيسة، وسيبدو كما لو أنه سقط في الطابق السفلي بالمصباح مغشيًّا عليه، وقد احترق حتى الموت.

لم يكن هناك أي عيب مهما كان يمكن أن يراه في الخطة المحكمة، وقد كان متأكدًا تمامًا من معرفته بكيفية قطع حلقه، وعمق الذبح اللازم كي يموت بسرعة، وكان متأكدًا بشكل معقول من أنها لن تؤذيه كثيرًا، وبعد ذلك سيكون كل شيء قد انتهى تحت لهيب النار.

لم يكن هناك أي داعٍ للتسرع في إنجاز الأمر، بالطبع، وفي الوقت نفسه شغل ذهنه بالخيارات المتنوعة لخطته.

كان يحتاج إلى ريح شرقية جافة ومغبرة بشكل خاص، حتى يفسر تأجج النار، وغداء كئيب يوم الأحد مع (ميريام)، ورسالة تهديد من (مايبريك) و(غول) و(غابيتاس)، دائنيه الرئيسيين والأكثر إلحاحًا، ومحادثة مع (ميريام) عن متأخرات الإيجار، وإيحاء بأنه صِحيًّا لا يشعر بأنه بخير من تراكم المشكلات فوق رأسه، وأنه يشعر بالدوار أحيانًا، وهو ما أتمه بشكل ممتاز.

في ذلك اليوم الموعود، سألته بوجه عابس:

- هل ستأتي إلى الكنيسة؟

- وكأنني حصلت على الكثير كي أصلي شكرًا له!

- أنت تحصل على ما تستحق.

ولَّاها ظهره صامتًا، وراح ينظر عبر النافذة، بينما صعدت هي لترتدي ثيابها، وعادت وقد استعدت للرحيل.

- من الأفضل أن تأتي إلى الكنيسة بدلًا من الكآبة والتأمل.

- لن أتأمل.

ظلت ساكنة للحظة، وقد أثار وجودها وإلحاحها حنقه، وشعر بأنه في لحظة أخرى يجب أن يقول لها شيئًا سخيفًا:

- أوه! ألفريد، هيا نذهب معًا إلى الكنيسة!

- في لحظة أخرى.

أغلقت الباب بعنف خلفها، بينما (بولي) يحادث نفسه:

- لقد تلقيت إشارتي، لا فائدة من هذه الحياة الوحشية الكئيبة، ثم إنها لن تبكي كثيرًا حسب ما أظن. فقط كرامتي ورجولتي تمنعاني من حرمانها من مبلغ التأمين، والآن هيَّا بنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

لعشرين دقيقة، كان السيد (بولي) مشغولًا بتنفيذ خطته، واستعدَّ بشكل منظم ومنهجي للغاية، وفتح نوافذ العلية للتأكد من وجود تيار هواء جيد في المنزل، وأغلق الستائر في الخلف وأغلق باب المطبخ لإخفاء ترتيباته عن الملاحظة.

في النهاية سيفتح الباب على الفناء، وقد أشعل نارًا جيدة من الحطب والورق هناك، ونثر حولها بعض الكيروسين، وصنع كومة من الأشياء القابلة للاشتعال في حجرة الجلوس الصغيرة خلف المحل، ثم قال وهو يتفقد كل شيء:

- يبدو كحريق مُحْكم.

أكد لنفسه هامسًا:

- الكثير من الوقت.

ثم أخذ المصباح الذي سيُبرر الأمر برمته، وذهب إلى رأس السلم بين المطبخ وحجرة الجلوس، وجلس وبجانبه المصباح غير المُضاء، وهو يتفحص الأشياء.

يجب أن يشعل النار في قبو الفحم أسفل الدرج، ويفتح الباب الخلفي، ثم يصعد السلالم بسرعة كبيرة، ويشعل برك الكيروسين الصغيرة في كل خطوة، ثم يجلس هنا مرة أخرى ويقطع حلقه.

سحب مُوسه من جيبه، ولمس شفرة الموس الحادة، واطمأن أن لن يتأذى كثيرًا، وفي غضون عشر دقائق بعد موته، سيكون رمادًا لا يمكن تمييزه في النيران، وكانت هذه نهاية الحياة بالنسبة له!

النهاية!

وبَدَا له الآن أن الحياة لم تبدأ بالنسبة له أبدًا! كأن روحه كانت ضيقة محبوسة، وعيناه مغلقتان منذ ساعة ولادته.

لماذا عاش مثل هذه الحياة؟ لماذا استسلم للأشياء التي كبلته، وظل متخبطًا حائرًا؟ لماذا لم يصر أبدًا على الأشياء التي كان يراها جميلة والأشياء التي يريدها، ولم يبحث عنها أبدًا، ولم يحارب من أجلها، أو يتحمل أي مُخاطرة، أو مات في سبيل عدم التخلي عنها؟

لا يهم العيش ما لم تكن هناك أشياء نعيش من أجلها.

لقد كان أحمق وجبانًا، خَدَعَهُ الجميع؛ لأن أحدًا لم يحذره من قبل أن عليه التمسك بحياته التي يحبها، ولم يخبره أحد من قبل عن الخوف أو الألم أو الموت؛ ولكن ما فائدة المرور بهذه الأحاسيس الآن مرة أخرى؟ انتهى الأمر.

انتهى مع دقة الساعة في الصالون الخلفي، تخبره بأن الوقت قد حان.

- الآن قالها وهو يهب واقفًا.

للحظة، كافح الشعور بالذنب، ورغبة داخلية في التخلي عن خطة الانتحار اليائسة هذه إلى الأبد.

لكن (ميريام) كانت تشم رائحة الكيروسين! وتعرف أنه كان ينوي حرق شيء.

نزل (بولي) ببُطء إلى الطابق السفلي، مُمسكًا علبة الثقاب، وتوقف مؤقتًا لمدة خمس ثوانٍ، ربما، ليستمع إلى ضوضاء تصدر من ساحة فندق رويال فيشبورن، الواقع خلف منزله.

ارتجف عود الكبريت قليلًا في يده، وقد تحولت الورقة التي يشعل فيها النيران إلى اللون الأسود، ثم ألقى بها إلى إحدى برك الكيروسين، واندفعت حافة اللهب الأزرق إلى الخارج وانتشرت، وقد اشتعلت النيران على الفور، وفي لحظة كان الخشب يشتعل بنار ترقص في مرح:

- قد يسمع أحدهم صوت طقطقة النار، يجب أن أسرع.

صعد الدرج ثلاث درجات في كل مرة، مع وميض أزرق لنيران متلهفة لملاحقته، ثم أمسك المصباح في يده وصاح:

- الآن!

ورماه من يده نحو أول السلم، لكن الزجاج الخارجي صمد أمام الصدمة، وتدحرج إلى القاع، وقد فشل جزء من الخطة.

وقف السيد (بولي) مترددًا، ويمسك بشفرة الحلاقة في يده، ثم جلس. كان يرتجف بعنف، لكنه غير خائف، سحب النصل برفق تحت أذن واحدة صائحًا:

- يا إلهي الرحيم.

لكن النصل لسع خلف أذنه فقط!

ثم لاحظ خيطًا صغيرًا من اللهب الأزرق يقترب من ساقه، فشتت انتباهه، وجلس للحظة، وهو يمسك بالموس في يده وهو يحدق فيه.

لا بُدَّ أن النار قد اقتربت بسبب الكيروسين الموجود على بنطاله، وبالطبع كانت ساقاه مبللتين بالكيروسين!

أفاق على حرارة النار تلسع ساقيه، فأخمدها بنفضها بكف يده، لكن بنطاله لا يزال متفحمًا ومتوهجًا، وقد بدا له أنه من الضروري أن يطفئ ما يتمسك به النار، قبل أن يقطع حلقه؛ لذا وضع الموس بجانبه ليضرب النار بكلتا يديه بلهفة شديدة محاولًا إخمادها، وفي أثناء قيامه بذلك، ظهر لسان لهب أحمر طويل رفيع من خلال الفتحة الموجودة في الدرج، والتي صنعها بيديه للتهوية، فوقف ساكنًا، ونظر إليها.

لقد كانت لهبًا خافتًا محمرًّا، يبدو كلون سمك السلمون الذي أكله تلك الليلة، وبها خطوط حمراء وبرتقالية.

النار تمسك في كل شيء الآن من حوله.

قفز السيد (بولي) منتفضًا، كما لو أن ألسنة النار حوله، كانت كأنها مجموعة من الذئاب المتحمسة.

- يا إلهي الرحيم!

صرخ مثل رجل استيقظ من كابوس مفزع، وراح يحاول بكفيه مرة أخرى، إخماد لهب متكرر يتمسك بساقه.

كان يريد أن يذبح نفسه، ثم تأكله النار بعد موته، لكن هذا يغير الترتيب تمامًا، وهو لا يريد أن يموت محترقًا.

فكر في أن يهدئ النار المتعجلة بالماء.

لم يكن هناك ماء بالطبع في الصالون الصغير، ولا في المحل، وتردد للحظة فيما إذا كان عليه أن يصعد إلى غرف النوم بالطابق العلوي، ويحضر إبريقًا من الماء لإخماد النيران. فعلى هذا المعدل، سوف تشتعل النيران في منزل جاره (رامبولد) في خمس دقائق!

كانت الأمور تسير بسرعة كبيرة بالنسبة للسيد (بولي)، وقد ركض نحو باب المتجر الداخلي، ثم اندفع من خلال متجره إلى هاي ستريت، وهو يشعر بأن النار بالفعل تقترب منه جدًّا، في لحظة أخرى كان في هاي ستريت والباب مفتوح على مصراعيه.

كان الدرج خلفه يحترق وهو يتداعى بأصوات مثل طلقات المسدس، ولديه إحساس غامض بأنه لم يفعل ما خطط له بشكل جيد للمرة الألف، لكن القلق الرئيسي كان قلقه من تلك النيران الخارجة عن السيطرة في الداخل.

ماذا سيفعل؟

ركض ناحية ناصية الشارع، وراح يلهث من فرط انفعاله، وهو يتحدث إلى الناس:

- مرحبًا!

صرخ السيد (بولي) لهم.

- حريق! حريق!

- وصدمته فكرة مُروِّعة.

فكرة أن والدة (رامبولد) في الطابق العلوي، قد تبدأ في الضرب والركل بأقصى قوة وهي لا تقوى على الصراخ.

لذا صرخ بأعلى صوته في الجميع:

- حريق.. حريق!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

كانت تلك بداية حريق (فيشبورن) العظيم، الذي انتشر في أكوام الصناديق والقش الخاصة بالسيد (روسبر)، وامتد إلى خزان البنزين والإسطبلات في فندق رويال فيشبورن، وانتشر من هذا الأساس حتى بَدَا أن نصف فيشبورن اشتعلت.

الرياح الشرقية، التي كانت تهب بقوة طوال ذلك اليوم، أشعلت اللهب أكثر، وكان كل شيء جافًّا وجاهزًا للاشتعال، والسقيفة الصغيرة الموجودة خلف منزل (رامبولد) كانت مشتعلة بشدة، وفي وقت قصير، صعد عمود كبير من الدخان الأسود، مزين بأشرطة حمراء، ووحدات الإطفاء تحاول السيطرة عليه دون جدوى.

كان أغلب سكان مجتمع فيشبورن في الكنيسة الصغيرة؛ ومع ذلك، كان الكثيرون قد أغرتهم السماء الزرقاء ونضارة الربيع للتنزه في شوارع المدينة، وشباب المدينة متناثرين على الشاطئ أو يلعبون في الساحات الخلفية، عندما تصاعد الدخان الأسود ليعكر صفو السماء.

ثم بدأت المنازل تتقيأ العديد من سكان مجتمع فيشبورن، وراح الأولاد والرجال يركضون ويصرخون، وظهر تاشينجفورد، الكيميائي، والسيد جامبيل، بائع الخضار وهو يزرر سترته وهو يركض، وكانت خوذة رجل الإطفاء النحاسية الرائعة على رأسه مُخفية كل شيء باستثناء الأنف الحاد، والفم الثابت، والذقن الحادة، ثم ركض مباشرة إلى صندوق الإطفاء وجرب فتح الباب، لكنه استدار والتقى بعين السيدة (بومر)، التي تشاهد الحريق من نافذتها العلوية، بينما صرخ السيد (جامبل):

- المفتاح، أين المفتاح؟!

بينما ركض (بولي) نحو متجر الخزف، لكنه لم يرَ العجوز ضعيفة السمع، والدة (رامبولد)، فانطلق يعدو نحو مدخل المنزل وسط النيران.

والآن كان الشارع مُزدحمًا، والناس يضعون أيديهم على هذا وذاك، بينما (روسبر) يقرأ كتابًا في الاقتصاد، مستغلًا غياب زوجته في الكنيسة، وعندما سمع الصرخات، وضع علامة بالقلم الرصاص على صفحة تناقش التضخم والإفلاس المتوقع، وهرع ليشاهد ما يحدُث.

في الوقت الحالي، اجتاحت النيران قبو منزل السيد (رامبولد)، وتسلقت جدار حديقته عن طريق سقيفة زراعة الفطر الممتلئة بالقطران، وهاجمت منزلًا آخر.

كان متجر (بولي) والأجزاء العلوية عبارة عن فُرْن بالفعل، والدخان الأسود يتصاعد من قبو رامبولد، بينما رجال الإطفاء، الذين ما زالوا يحاولون، كانوا يعملون بجد أمام المبنى الأخير؛ لقد فتحوا باب صندوق الإطفاء، ولكن بعد فوات الأوان، وأخرجوا خراطيمهم، وبعض الدلاء من التراب، هم يقاومون كتلة تقطر من المطاط المنصهر المشتعل، بينما كان (بومر) يصرخ غضبًا من بُطْء عملية الإطفاء، والنار التي أوشكت أن تشتعل في بيته.

صرخ السيد (بومر) طالبًا من أحدهم أن يتصل بـ(بورت ميردوك)، ليرسلوا عربة إطفاء كبيرة، بينما تبرع الناس بخراطيم مياه من حدائقهم، في محاولة للمساعدة.

بَدَأ عدد من المتطوعين الراغبين في الذهاب إلى مكتب الهاتف الجديد امتثالًا لطلب السيد (بومر)، فقط لتخبرهم السيدة الشابة بأدب رسمي بارد أنهم بالفعل فعلوا ذلك، وأن عليهم أن يُسهموا في جهود الإطفاء، بدلًا من لعب دور سعاة بريد السيد (بومر).

كان فندق رويال فيشبورن، الذي كان يجاور السيد (بولي) إلى الغرب، يبدو مبتلًّا بالجهود الحماسية لسلسلة من المتطوعين باستخدام دلاء من الماء، وفوق نافذة الحمام، كان النادل الألماني الصغير ممسكًا خرطوم الحديقة الصغير، لكن منزل السيد (بولي) بدا أشبه بمنزل تنشأ منه النار أكثر من معظم المنازل المشتعلة الأخرى، ليبدو وكأنه البداية التي أشعلت كل شيء.

بينما للحظة، لفت انتباه موظفة الهاتف الشابة، تلك الأنشطة التي يقوم بها السيد (تاشينجفورد) الكيميائي، الذي كان يندفع عبر الطريق، ويلقي قنابل من مواد ما على منزل (بومر)، ويركض عائدًا بحثًا عن المزيد، بينما فجأة، رفعت العيون إلى السقف المائل لمنزل (رامبولد)، وتعلقت عيون عاملة الهاتف على شيء ما هناك، ثم صرخت بصوت حاد:

- شخصان على السطح هناك! شخصان على السطح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

كان هناك شخصان خرجا لتوِّهما من نافذة الدرج العلوي لمنزل (رامبولد)، وهما يتسلقان الآن ببُطء سقف المبنى الخارجي باتجاه الجزء الخلفي من مبنى منشأة مانتل وتروبسون، وقد صعدا ببُطء، وأمسك أحدهما الآخر وساعده، وهو ينزلق ويتوقف مرارًا وتكرارًا.

أحدهما كان السيد (بولي)، بشعره المنكوش الهائش، ووجهه مغطى بلطخات سوداء، وساقاه محترقتان مسودتان؛ بينما كانت الأخرى سيدة عجوز، مرتدية ملابس سوداء، وكانت مهتزة، ليس من الخوف، ولكنها تلك الاهتزازات الطبيعية لمن هُم في مثل عمرها المديد.

- هيا يا سيدتي، لا بُدَّ أن نقفز للسقف التالي.

صرخ (بولي) وهو يحاول أن يُسمعها صرخاته.

ردت العجوز من بين شفتيها، بفمها الخالي من الأسنان.

- أنا لا أقدر على القفز، يمكنني أن أزحف أو أحبو، لكن القفز، لا!

صاح السيد (بولي):

- إذا جلسنا هنا عشر دقائق أخرى سنفرقع مثل الكستناء المشوي! ألا تفهميني؟! كستناء مشوي! الكستناء المحمص! مثل الفشار!

يجب أن يكون هناك حد لضعف السمع، لا بُدَّ، هكذا فكر (بولي).

- انظري إلى هذا الدخان! سأبحث عن أي مكان في العلية الملاصقة يمكن الهروب منه.

والسيدة العجوز ضعيفة السمع، عيناها تتبعان إيماءاته، وتجعد وجهها في تعبير عن نفور كبير، فتابع:

- هيا تعالي.

- لا أستطيع سماع كلمة تقولها.

فسحب ذراعها صارخًا:

- تعالي!

في الأسفل، كان الشارع الآن مزدحمًا بالجماهير بالصراخ والهتافات، وكأنَّ هناك نوعًا من القتال يدور حول الهروب مِن الحريق، وهو أمر يمثله السيد (بومر) والشرطي الصغير جدًّا، اللذان كانا يصفقان مشعين، وذلك الاضطراب من قبل بعض المتطوعين المخمورين جزئيًّا.

شاهد السيد (بولي) نضالها في محاولة التعلُّق بأي شيء كي تهبط إلى النافذة في علية المنزل الملاصق لهم، ونظر من فوق كتفه باستمرار إلى الحجم المتزايد للدخان المتصاعد من المنزل

المشتعل، فقرر أن يكسر نافذة العلية ويدخل الآن، ثم يسحب جسدها إلى الغرفة فورًا، أيًّا كانت اعتراضاتها.

أدخلها إلى العلية وسط اعتراضاتها على ملامسته لجسدها العجوز، وحاول النزول إلى الأسفل، لكن السلم الهابط، كما وجد، كان ممتلئًا بالدخان الخانق، ولم يجرؤ على المجازفة بالنزول إلى الطابق التالي؛ لذا فقد أخذها إلى إحدى الغرف، وأغلق الباب، وفتح النافذة ليكتشف أن الهروب من الحريق الآن لا بد أن يكون بالقفز، لا شيء سوى القفز، فيشبورن كلها تحترق، ولا بد أن يلمس الأرض.

- لا بد أن ننزل من هنا! صرخ عاليًا، والناس تسمع صرخاته من أسفل.

- لن أقفز، أنا لن أقفز.

- اللعنة!

صرخ (بولي) وهو ينظر إلى الجمع عبر إفريز النافذة، ثم صرخ في (جامبل) الواقف أسفل النافذة.

- هل لك قوة كافية على حملها مني؟

فرد (جامبل) صارخًا:

- سأحاول أقصى ما أقدر عليه.

حملها السيد (بولي) عنوة، ثم أمسك أطرافها المسنة من فوق وهو يُعلِّق جسده على النافذة محاولًا إنزالها، والحشد قلق أدناه، ويملي عليه النصائح، بينما في الداخل، كانت شرائط من الدخان الأسود تتدفق من خلال الشقوق في الأرض.

انتظر الحشد بضع ثوانٍ حابسًا أنفاسه، بينما راحت السيدة العجوز تضحك وكأنها مُعلَّقة على أرجوحة، وظل السيد (بولي) بجسد نصفه خارج النافذة. حتى أصبحت السيدة العجوز في أمان بالأسفل، في أحضان ابنها السيد (رامبولد) -الذي كان يبكي- وكان الحشد ممتلئًا بالحماس، بل إن بعضهم أرادوا مصافحتها مهنئين.

ثم لاحظ الحشد المتحمس أن السيد (بولي) يستعد للتسلق هابطًا، ثم القفز من على النافذة إلى الأسفل، وما إن لمس الأرض ساقطًا فوقها، حتى قُوبل بعاصفة من التصفيق والحماس، بل إن الشرطي أنقذه من جمْع متحمس، كانوا يُقبِّلون وجهه فرحًا مثل الكلاب اللاهثة، وحُمِل على أعناق الجموع، بطلًا متوجًا، ببداية جديدة، تسبب فيها الحريق الذي أشعله هو، ثم راح الجمع يحتفي ببطولته، حتى اقتيد إلى فندق تيمبرانس في طرف المدينة، وترك في الغرفة مثل جوال ممتلئ، ليجد نفسه في حضن (ميريام) المُبلَّل بالدموع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

مع الغسق، ووصول بعض أفراد شرطة المقاطعة، وسيارتي إطفاء أخريين من بورت ميردوك وهامبستيد، وجدت المواهب المحلية في فيشبورن نفسها مجبرة على العودة إلى دور ثانوي أقل مسئولية وأكثر تقيدًا.

لن أتابع قصة النار حتى رمادها، ولن أفعل أكثر من إلقاء نظرة على السيد (روسبر) البائس، وهو يحاول عبثًا استعادة خرطومه المتناثر وسط عمليات الدوس والاندفاع من قبل خبراء بورت ميردوك.

في غرفة جلوس صغيرة في فندق فيشبورن تيمبرانس، جلست مجموعة من التجار في فيشبورن، يتحدثون عن الخراب الذي حل بمنازلهم ومتاجرهم.

كانوا هم وعائلاتهم ضيوفًا للسيدة العجوز (بارجريف)، والتي أَبْدَتْ أقصى قدر من التعاطف والاهتمام بمصائبهم، واصطحبت العديد من الأشخاص إلى منزلها في إيفردين، وجعلت فندق تيمبرانس ملاذًا مؤقتًا لهم، وقامت شخصيًّا بالإشراف على إسكان مساعدي مانتل وثروبسون المشردين، وقد أصبح فندق تيمبرانس صاخبًا للغاية ومزدحمًا للغاية، حيث يجلس الناس في أي مكان، وغير قادرين تمامًا على النوم.

المدير كان جنديًّا عجوزًا، واتباعًا لأفضل تقاليد الخدمة الفندقية، رأى أن كل شخص لا بُدَّ أن يحصل على كوب كاكاو ساخن، فيبدو أن الكاكاو الساخن موجود في كل مكان، وعندما يكتشف المدير أي شخص يميل إلى الحزن أو التأمل، يحث هذا الشخص على الفور على شرب المزيد من الكاكاو الساخن والحفاظ على قلب قوي متماسك.

كان بطل المناسبة، مركز الاهتمام، السيد (بولي)؛ لأنه لم يتسبب فقط في الحريق بسقوط مصباح مضاء فوق كومة من الورق في أثناء تعثره، وإحراق سرواله وهروبه من الموت بأعجوبة، كما أوضح الآن بالتفصيل نحو عشرين مرة للجميع، لكن بسبب تلك السيدة العجوز ضعيفة السمع، التي هرع إليها، وأنقذها بإصرار وحيوية برغم تقدمها الكبير في السن.

كان الجميع يهتمون به جيدًا، وكانوا متلهفين لإظهار ذلك، خاصةً من خلال مصافحة يده بشكل مؤلم ومتكرر.

وبعد أن كسر صمت دام قرابة خمسة عشر عامًا، شكره السيد (رامبولد) بحرارة، وقال: إنه لم يفهمه أبدًا بشكل صحيح، وأعلن أنه يجب أن يحصل على ميدالية شرف، يبدو أن هناك فكرة منتشرة على نطاق واسع مفادها أن السيد (بولي) يجب أن يحصل على ميدالية، وكذلك قال (هنكس وبومر).

قابل السيد (بولي) كل ذلك، بوجه مغسول نظيف، وعينين مرهقتين، وتعابير من تواضع الأبطال، أجادها بشكل كان ليبهر (بارسونز) رفيق المراهقة.

ومع كل هذه الكوارث فإن (بولي) وجميع التجار المتضررين كانوا يشعرون ببعض الابتهاج، فقد رأوا في الأفق أموال التأمين وهي تتدفق عليهم، لتحل مشكلات ديونهم، وتعيد الحياة لتجارتهم شبه

البائرة، وقد كانت الحياة بالفعل في خيالهم ترتفع مثل طائر الفينيق من النيران.

قال السيد (كلامب):

- أفترض أنه سيكون هناك اكتتاب عام.

فرد عليه (هنكس):

- ليس لمَن هم مُؤمَّن عليهم.

فتابع (كلامب):

- أنا مؤمّن مِن شركة رويال سالاماندر.

فقال السيد (وينترشيد):

- نفس الشيء هنا، إنها شركة جيدة جدًّا.

طار سؤال في الجو نحو (بولي) الشارد:

- هل أنت مؤمن يا سيد بولي.

فعاجله (رامبولد):

- إنه يستحق أن يكون مؤمنًا.

أجاب (بولي) بهدوء:

- تجاريًّا وعمومًا، أنا مؤمن.

تصاعدت نبرات الارتياح من الجمع.

نشأت محادثة صغيرة حول أسباب الحريق، وتحدث السيد (بولي) ليخبرنا كيف حدث ذلك للمرة الواحدة والعشرين، فقد أصبحت قصته الآن ظرفية ودقيقة مثل أدلة شاهد الشرطة.

قال:

- قلب المصباح، فقد كنت قد أشعلته للتو، وكنت أصعد إلى الطابق العلوي، وانزلقت قدمي في الاتجاه الذي كان فيه أحد الأسطح أملس بعض الشيء، فسقطت إلى الأسفل، وكان الشيء متوهجًا في لحظة!

ثم تثائب في مَلَل، وترك الغرفة قائلًا:

- طابت ليلتكم.

سمع صوت (رامبولد) مِن طرف الغرفة يقول:

- لقد قمت بعمل شجاع للغاية يا رجل، ولا بد أن تحصل على ميدالية.

ثم صمت وكأنه يبحث عن الميدالية المناسبة.

تبادل معه الآخرون تحية المساء، ثم ذهب كل إلى مكان نومه.

ذهب ببُطء إلى الطابق العلوي، ودخل غرفة النوم، وشغل الضوء الكهربائي.

لقد كانت غرفة رائعة إلى حدٍّ ما، وواحدة من أفضل الغرف في فندق تيمبرانس.

بَدَتْ (ميريام) وكأنها نائمة، وكتفاها كانا مُحدَّبين تحت الملابس في كتلة غريبة الشكل، وَجَدَها (بولي) بغيضة تمامًا لخمسة عشر عامًا.

ذهب بهدوء إلى مرآة منضدة الزينة، وتفحص نفسه بعناية.

لا أثر سوى بعض لسعات النار.

- تعالَ للفراش، أنت متعب.

قالتها (ميريام) في هدوء.

ثم تابعت وهي تُدير وجهها للناحية الأخرى:

- بعد كل ما حَدَثَ، لا يبدو الأمر بهذا السوء في النهاية.

همهم (بولي)، ومدَّد ساقيه وهو يجلس على المقعد.

بينما (ميريام) تُغمغم:

- احصل لنا على منزل آخر، فلطالما كرهت هذا المنزل!

- لنذهب إلى مكان يمكنك فيه العمل في شيء مفيد!

- لا بد أن نبحث عن طلاء جيد، بدلًا من ورق الحائط المزهر.

خلع فردة حذائه وهو يتجاهل الأصوات الخارجة منها، حتى بَدَتْ له كخلفية باهتة.

وفجأة، اتضح للسيد (بولي) للمرة الأولى أنه نسي شيئًا ما، فقد كان يجب أن يقطع رقبته ويذبح نفسه!

صدمته هذه الحقيقة، ولكن كما هو الحال الآن لم تعُد مُلحَّة عليه، فقد بَدَا الأمر بعيد المنال في الماضي، وتساءل: لماذا لم يفكر فيه من قبل؟

الحياة شيء غريب! لو فعل ذلك لما كان قد رأى هذه الغرفة النظيفة والمريحة بالضوء الكهربائي.

أين يمكن أن يكون قد أضاع موس الحلاقة؟ ربما في مكان ما في الغرفة الصغيرة خلف المتجر، كما افترض، لكنه لم يستطع التفكير في المكان بدقة أكبر في الوقت الحالي.

على أي حال لم يكن الأمر مُهمًّا الآن، فقد خلع ملابسه بهدوء، ودخل إلى الفراش موليًا ظهره للسيدة (بولي) -ميريام سابقًا- ونام على الفور تقريبًا.

بلا أي أحلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل التاسع
فندق بيتويل إن

(1)

ولكن عندما يخترق الرجل الجدران الواهية للظروف اليومية، تلك الجدران غير المادية التي تحبس الكثير منا بأمان من المهد إلى اللحد، فإنه يتوصل إلى اكتشاف مهم.

إذا كان العالم لا يرضيك يمكنك تغييره، قرِّر تغييره بأي ثمن، ويمكنك تغييره تمامًا.

يمكنك تغييره إلى شيء شرير وغاضب، إلى شيء مروع، ولكن قد تقوم بتغييره إلى شيء أكثر إشراقًا، وشيء أكثر جمالًا، وفي أسوأ الأحوال شيء أكثر إثارة للاهتمام.

لا يوجد سوى نوع واحد من الرجال، يتحمل المسئولية المطلقة عن بؤسه وهمه، وهو الرجل الذي يجد الحياة مُمِلة وكئيبة، وقف مكتوف الأيدي بلا حراك.

لا توجد ظروف في العالم لا يمكن للإجراء الحازم الجاد أن يغيرها، إلا إذا كانت جدران زنزانة سجن، وحتى تلك، ستذوب وتتحول في يوم ما.

والسيد (بولي) يرقد مستيقظًا في الليل، مع عُسْر هضم متجدد، بجواره (ميريام) تشخر بصوت عالٍ، ورأى من خلال أفكاره المتشابكة أن هذا الوضع لم يعُد حتميًّا الآن، وأن اليأس لم يعُد خيارًا متاحًا.

يمكنه، على سبيل المثال البحث عن إخلاء سبيل.

أصبحت عبارة رائعة وجذابة بالنسبة له:

- امسح كل ما أنت فيه!

لماذا لم يفكر سابقًا في مسح حياته، والبدء من جديد؟

لقد اندهش وصدم قليلًا من حسه الإجرامي الخيالي، الذي حول (فيشبورن) القديمة الضيقة والراكدة إلى كومة من رماد حريق، تنشأ منها بدايات جديدة.

ملحوظة مني:

- أتمنى من أعماق قلبي أن أضيف أنه كان آسفًا بشكل صحيح. لم تكن فيشبورن هي العالم فقط، كانت تلك هي الحقيقة الجوهرية التي عاش بها في جهل يرثى له.

لم تكن فيشبورن التي كان يعرفها ويكرهها هي العالم فقط.

لذلك أراد أن يقتل نفسه ليخرج منها؛ لأنه ظن أن لا عالم هناك.

فيشبورن لم تكن العالم.

إن أموال التأمين التي كان سيحصل عليها جعلت كل شيء لطيفًا وعمليًّا، وممكنًا. سوف (يتخلص منها) بالعدل والإنسانية، فقد كان سيأخذ واحدًا وعشرين جنيهًا بالضبط، وسيترك الباقي لـ(ميريام)،

وبَدَا له ذلك عادلًا تمامًا، فدونه كانت تستطيع أن تفعل كل الأشياء التي كانت تحثه باستمرار على القيام بها.

كان ينوي أن يسافر، ويتسكع، وينام في الفنادق ليلًا، ويحصل على وظيفة غريبة هنا وهناك ويتحدث إلى أشخاص غريبين عنه، ولن يفتح متجرًا بعد الآن، مطلقًا.

لذا فإن احتمالات المستقبل، قدَّمت نفسها للسيد (بولي)، واستقبلته بذراعين مفتوحتين، وهو مستيقظ في الليل بجوار (ميريام).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

بعد شهر، سار صعلوكًا ممتلئًا بالغبار، ممتلئ الجسم وأصلع بعض الشيء، ويداه في جيوبه، وشفتاه تصفران صافرة للحن شعبي، وكان يتجول على طول ضفة النهر بين أوبينغدون وبوتويل.

كان السيد (بولي)، هو بالتحديد هذا الصعلوك المتسكع، الذاهب إلى لا مكان.

لأول مرة منذ سنوات عديدة، كان يعيش حياة بشرية صحية طبيعية، يعيش باستمرار في الهواء الطلق، ويمشي كل يوم ثماني أو تسع ساعات، ويأكل باعتدال، ويقبل كل فرصة للمحادثة مع أي غريب، ولم يقم بأي عمل على الإطلاق. لم يقلق بشأن العمل ولا الوقت والمواسم، ولأول مرة في حياته رأى الشفق القطبي.

حتى الآن لم تكلفه العطلة سوى القليل جدًّا، فلقد رتبها على خطة كانت من بنات أفكاره بالكامل.

بعد انقضاء خمسة عشر عامًا، أعاد اكتشاف هذا العالم، وسار على طول الطرق الريفية بينما كانت الطيور تغني، والشمس ساطعة مبهجة، وشعر بالسعادة وعدم المسئولية مثل صبي يقضي عطلة غير متوقعة، وإذا عاد إليه خاطر التفكير في (ميريام)، فإنه يتحكم في عقله، ويزيح هذه الأفكار من رأسه.

لقد زار النزل الريفية، وجلس ساعات غير محسوبة، يتحدث عن هذا وذاك لأولئك العجائز الحكماء، الذين يجلسون إلى الأبد في صالات النزل الريفية، وحصل على وظيفة مع بعض الأشخاص الذين كانوا يتجولون في أنحاء البلاد بالألعاب والفقرات الترفيهية، وبقي معهم ثلاثة أيام، وتحدث إلى المتشردين والعاملين على جانب الطريق، وكان يغفو تحت الجسور نهارًا وفي مأوى المشردين العام ليلًا.

لقد جمع قدرًا كبيرًا من الذكريات الغريبة والمثيرة للاهتمام.

مشى في حقول يُغطِّيها الضباب، حتى لم يكن يرى قدميه، ونام على العشب ملتحفًا بالخلاء، وشهد شروق الشمس في (ويسكس)، وشهد غروبها على شواطئ صخرية في (ويلز).

حتى ذلك الجدار، الذي أهان نفسه يومًا عنده، تسلقه وجلس فوقه، وراح يراقب الحقول والأشجار.

ثم قال لنفسه وهو يبتسم في سعادة:

- لا ألم بعد اليوم يا رجل، ولا عودة للوراء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

كانت الساعة نحو الثانية بعد الظهر في أحد الأيام الحارة في شهر مايو، عندما وصل السيد (بولي) إلى ذلك المنعطف الواسع من النهر، حيث يجري داخل تلك الحديقة الصغيرة، حديقة فندق بيتويل إن.

رأى مبنى أنيقًا ذا سقف متعرج، ونوافذ بيضاء جميلة، تقف على جوانبه ثلاث شجرات حور، تكاد تلامس السماء، ويتسلق حواف المبنى فروع من نبات اللبلاب.

كلما اقترب من المكان أحبَّه أكثر.

صعد درجات السلم في ثلاث خطوات، ووصل إلى الباب المكسو بألواح زجاجية، واختلس النظر إلى غرفة استقبال واسعة منخفضة بها بار وآلة صب بيرة، خلفها العديد من الزجاجات، وصناديق سيجار وعلب سجائر، وزوجين من أباريق توبي ولوحة لمنظر طبيعي مُلوَّن بشكل جميل.

لكن، هذه كانت مجرد خلفية للشيء اللطيف حقًّا في المشهد، والذي كان أكثر امرأة ممتلئة رآها السيد (بولي) على الإطلاق، جالسة على كرسي بذراعين وسط كل هذه الزجاجات والأكواب والأشياء المتلألئة، بسلام وهدوء.

كان كثير من الناس يطلقون عليها لقب امرأة سمينة، لكن إحساس السيد (بولي) الفطري، أخبره منذ البداية أن اللقب هو مجرد كلمات لا معنى لها.

بَدَا أنها سيدة كريمة المنشأ، هادئة الملامح، مريحة القسمات، تبدو كملاك نائم في سلام.

فتح السيد (بولي) الباب بهدوء شديد، مُنقسمًا بين الرغبة في الدخول والاقتراب، وعدم رغبته في إيقاظها من ذلك السُّبات الهادئ.

استيقظت مع دخوله الهادئ، وملء وجهها تعابير الرعب قائلة:

- قريبي!

لكن ملامح وجهها تغيَّرت عند اقتراب (بولي)، وقالت بهدوء:

- ظننت أنك جيم!

قال السيد (بولي) في هدوء: أنا لست جيم أبدًا.

- ظننتك هو، فهو يرتدي هذا النوع من القبعات.

- آه! فهمت.

قالها السيد (بولي)، واتكأ على البار في هدوء.

قالت السيدة البدينة:

- ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك؟

- لحم بارد؟

- هناك لحم بارد.

اقتربت المرأة الممتلئة وانحنت على البار وهي تنظر إليه بلطف:

- هناك بعض اللحم المسلوق البارد، والقليل من الخس الهش.

قال السيد (بولي):

- وبعض الخردل الجديد، وخزانة خاوية؟!

ابتسمت لتعبيراته الملتوية، لكنها فهمت..

لقد فهما بعضهما البعض بشكل مثالي.

- تبحث عن عمل؟ سألت المرأة الممتلئة.

قال السيد (بولي) مبتسمًا: بطريقة ما!

ابتسما لبعضهما مثل الأصدقاء القدامى.

مهما كانت الحقيقة حول الحب من النظرة الأولى، فهناك بالتأكيد شيء مثل الصداقة من النظرة الأولى.

لقد أحب كل منهما صوت الآخر، وأحبَّا طريقة بعضهما البعض في الابتسام والتحدُّث.

قال السيد (بولي) موضحًا كل شيء:

- إنه طقس جميل هذا الربيع.

- ما نوع العمل الذي تريده؟

- لم أفكر في ذلك بشكل واضح بعد، كنتُ أبحث عن بعض الأفكار.

ابتسمت من جديد، ثم تابعت:

- هل تريد اللحم هنا أم في الخارج؟

- ربما في الخارج، حتى أفكر بشكل جيد.

خرج (بولي) مرة أخرى في ضوء الشمس.

فكر في أنه في بعض الأحيان، يمكن للمرء أن يقول الكثير باختصار.

أخذ يتمشى حول المكان، وقابل رجلًا عجوزًا متذمرًا، وطارده كلب أبيض صغير، وتعثر في بعض الصخور، ثم عاد إلى المقاعد والطاولات الخضراء في الخارج، فوجد المرأة الممتلئة، تجلس على إحدى الطاولات الخضراء بالخارج.

جلس يأكل وهو مُجهد، وكان جائعًا لدرجة أنه لم ينبس ببنت شفة طوال الجلسة.

- أريد رجلًا غريبًا عن المكان للعمل هنا. قالت السيدة.

- أنا غريب عن المكان.. حسنًا، ما الراتب؟

- ليس كثيرًا، لكنك ستحصل على إكراميات وفوائد. لديَّ شعور بأنه يناسبك، الأمر ببساطة، احمل، اغسل، اعتنِ بالحديقة، أبحِر بالضيوف بأحد القوارب.

ابتسم وهو يلوك اللحم مستمتعًا:

- تبدو لي رجلًا شريفًا، أفترض أنك لم تفعل شيئًا سيئًا.

فقال السيد (بولي)، كما لو كان مازحًا:

- أشعل النار متعمدًا فقط!

- طالما ليست عادة لديك، فلا بأس. ثم ضحكت ضحكة هادئة!

- أول وآخر مرة أفعلها!

- كل شيء على ما يُرام إذا لم تكن ذهبت إلى السجن. قالت المرأة البدينة.

- أبدًا!

- ولا إصلاحية؟ ولا أي مؤسسة؟

- هل أبدو مُصلحًا؟!

- هل يمكنك الصباغة؟ هل تعرف بعض أعمال النجارة؟

- نوعًا ما.

- إذن فمرحبًا بك.

قضى فترة ما بعد الظهيرة يستكشف المكان، ويتعلم المهمات التي سيُكلف بها، وكيفية حساب مدة إيجار القوارب، وكيف يدور حول المكان بسرعة، ليصل من النهر إلى الفندق والعكس.

- هل تحب صيد السمك؟ سألته ربة العمل الجديدة.

- عندما لا يكون هناك شيء آخر في متناول اليد، أفترض أنني قد أمارس القليل من صيد السمك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

كان السيد (بولي) مفتونًا بشكل خاص بصغار البط؛ فقد كان البط يتنقل بين المرج والنهر بصحبة أمهم الحاضنة، وبينما نزل هو والمرأة البدينة من ممر الحديقة، كانت المخلوقات الصغيرة تهاجمهم وتهجم على أحذيتهم، وتدخل بين ساقي السيد (بولي) لاهية، وقد بذل قصارى جهده كي يتجنب أن يطأهم بقدمه، ويتسبب في قتلهم.

لم يكن السيد (بولي) قريبًا من صغار البط من قبل ولم يرَهُم كثيرًا؛ لذا فقد أعجب بشعرهم الأشقر، وذلك الكمال الدقيق لأقدامهم ومناقيرهم.

إنه لأمر عجيب ومطروح للسؤال: هل هناك أي شيء ودود في العالم أكثر من البطة الصغيرة جدًّا.

كان يُبحر بالقارب، محاولًا التدرب على تطويع تيار النهر، عندما لاحظ كائنًا صغيرًا رقيقًا، يقف على الشاطئ مراقبًا تحركاته وطريقته في الإبحار.

وعندما عاد إلى المرفأ الصغير، قابلته الفتاة اللطيفة:

- تبدو جيدًا، لكنك لست بجودة العم (جيم).

- هل أبدو كـ(جيم)؟ لأنني لست (جيم)!

- أعرف أنك لست (جيم)، أنت مختلف عنه كثيرًا!

ابتسم (بولي)، فقد كان مستمتعًا بطبقة الصوت البريئة، وتلك التلقائية المباشرة.

- هل كان العم (جيم) وسيمًا؟

- كان لا بأس به، لكنه لم يكن من الممكن أن تصفه بالوسيم.

لأول مرة في حياته بَدَا للسيد (بولي) أنه قد صادف شيئًا لطيفًا للغاية، فقد كان يحدق في الشيء الجميل من اللحم والدم والروح أمامه، تقف متوازنة قليلًا على ساقيها الصغيرتين القويتين، وتنظر إليه بعيون لا تزال بعد لم تتعلم التعبير عن الاشمئزاز أو الخوف.

- كم عمرك؟

- تسعة. أجابته في بساطة.

ثم رفعت عينيها إلى أعلى في حركة ساحرة وهي تتابع:

- لم يكن العم (جيم) وسيمًا، لكنه كان حار الدماء، وبالتأكيد، لم تكن جدتي تحبه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

وجد السيد (بولي) المرأة الممتلئة في المطبخ الكبير، وهي تشعل الموقد لإعداد الشاي.

ذهب إلى جذر المسألة في الحال، وسأل:

- مَن هو العم جيم؟

صمتت المرأة الممتلئة ووقفت ساكنة للحظة.

- حفيدتي الصغيرة كانت تقول أشياء؟

- أجزاء من الأشياء.

- حسنًا، أظن أنني يجب أن أخبرك عاجلًا أم آجلًا، إنه البلطجي، البلطجي المسيطر على هذا المكان، كنت آمل ألا تسمع ذلك قريبًا، فمن المحتمل جدًّا أنه رحل.

- لا يبدو أنها تظن ذلك.

- أرى أنني يجب أن أخبرك.

- من هو جيم؟

- ابن أختي، مع الأسف.

تجمعت الدموع في عينيها، وهي تتابع قائلة:

- أحاول ألا أفكر في الأمر، وهو يطاردني ليل نهار. أحاول ألا أفكر في ذلك. لقد كنت أحب الراحة طوال حياتي، لكنني الآن قلقة وخائفة، مع كل هذ التهديد بالموت والخراب والشر حولي! أنا لا أعرف ما يجب القيام به! إنه ابن أختي، وأنا امرأة أرملة وحيدة.

وضعت الملعقة التي كانت تمسكها على البار، وبدأت تبكي وتتحدث بسرعة:

- لن أمانع في أي شيءٍ آخر إذا ترك هذه الطفلة وشأنها، لكنه يذهب للتحدث معها إذا تركتها لحظة، فإنه يتحدث معها، ويُعلِّمها كلماته ويعطيها أفكارًا من قريحته الفاسدة!

قال السيد (بولي):

- هذه وقاحة.

- وقاحة! صَرَخَت المرأة الممتلئة، ثم تابعت:

- إنه أمر فظيع! وماذا عليَّ أن أفعل؟! لقد كان هنا ثلاث مرات حتى الآن، ستة أيام وأسبوع وجزء من أسبوع، وأدعو الله ليل نهار ألا يأتي مرة أخرى.. إنه يأخذ أموالي ويأخذ أشيائي! لن يسمح لأي شخص بالبقاء هنا لحمايتي ومساعدتي في الأعمال.

صمت السيد (بولي) احترامًا، لكنها حاولت التماسك وهي تقول:

- إذا اشتكيت سيقولون إنني عاجزة عن الإدارة هنا، وسوف يسحبون رخصتي، وسأخسر كل ما يمكنني الحصول عليه من المعيشة، وهو يعرف ذلك، ويستغل هذه النقطة، فكرت في أن أرسل الطفلة بعيدًا، لكن ليس لدي مكان لأرسل الطفلة إليه. حاولت أن أشتري صمته، لكنه عاد أسوأ من أي وقت مضى، يجول حول المكان، ويرتكب أسوأ الشرور، وليست لديَّ أيادٍ تساعدني، ولا أي شخص إلى جواري. لا شخص واحد! كنت أتمنى فقط أن يكون هناك يوم أو نحو ذلك، قبل أن يعود مرة أخرى. كنت أتمنى فقط؛ أنا من النوع الذي يأمل.

كان السيد (بولي) يفكر في العيوب التي لا يمكن فصلها عن كل الأشياء الجميلة في الحياة.

- هو من نوع الرجال الضخام الكبير، حسب ما أتوقع؟

- كان هناك دائمًا شيء خاطئ معه، فمنذ صغره وهو فاسد، ومشاغب، حتى إنهم أرسلوه إلى الإصلاحية.

- لماذا أرسلوه إلى الإصلاحية؟

- لقد سرق المال من امرأة عجوز، وماذا عليَّ أن أفعل عندما يتعلق الأمر بالمحاكمة، لقد كنت تحت القسم، وكنت أقول ما كنت أعرفه، وهو يراقبني مثل أفعى، كان أشبه بأفعى من فتى بشري، وبعد سنوات، كان الثعبان واقفًا متكئًا على البار، وهو يقول: لقد أصلحوني، وجعلوني شيطانًا.

سألها (بولي) في فضول:

- ماذا أعطيته آخر مرة؟

فقالت المرأة الممتلئة:

- ثلاثة جنيهات ذهبية، لكن صمته لن يستمر ذلك طويلًا، لقد قال إنه سيرجع بعد أسبوع آخر.

- ما حجمه؟

- ليس من النوع الخارق للطبيعة، ليس ذا رأسين! والآن من الأفضل أن تنطلق الآن، وسأحاول أن أجد بعض المال ليذهب بعيدًا مرة أخرى عندما يأتي، ليس من المعقول أن أتوقع منك فعل أي شيء سوى أن ترحل بسرعة، لكنني أظن أن هذه طريقة المرأة التي تواجه مشكلة في محاولة الحصول على المساعدة من الرجل الشريف، لديَّ أمل؛ أنا من النوع الآمل.

ذهب السيد (بولي) إلى نافذة المطبخ واستطلع مكان الفتاة، التي كانت بعيدة عن طريق الحديقة ويداها خلف ظهرها، والشعر الأسود يتطاير في حالة اضطراب حول وجهها الصغير، وهي تفكر بعمق في فراخ البط.

قال السيد (بولي) في صدق:

- لا يجب تركككما أنتما الاثنان بمفردكما.

فحدقت المرأة الممتلئة في ظهره، والأمل في عينيها.

قال السيد (بولي)، وهو يفكر بصوت عالٍ:

- أود إلقاء نظرة عليه قبل أن أذهب.

ثم أضاف:

- بطريقة ما، ليس من شأني بالطبع أن أتدخل، ولكن...

سمعا ضوضاء تأتي من الخارج، فانتفض صائحًا:

- يا إلهي الرحيم، ما هذا؟!

فقالت المرأة الممتلئة بابتسامة متوترة:

- فقط بعض الزبائن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(6)

لم يقدم السيد (بولي) أي وعود متهورة، وفكر كثيرًا، وظن أنها بداية جديدة للبحث عن المتاعب.

لكنه بقي وفعل أشياء مختلفة من قائمة الأعمال التي طلبتها منه بالفعل، وعمل على القوارب، ومرَّت أربعة أيام قبل أن يسمع عن مَن يُدعَى (العم جيم).

ظهر (العم جيم) في الغسق، ولم يظهر بعنف مُدمِّر كما كان يخشاه (بولي). لقد جاء بهدوء شديد.

كان السيد (بولي) يسير في الممر خلف الكنيسة المؤدية إلى فندق (بوتويل)، وهو يمشي ببُطء، ويفكر استطراديًّا كعادته، لكنه أدرك وجود شخصية تسير بجانبه بلا ضوضاء.

كان انطباعه الأول، وجهًا عريضًا بشكل فريد في الأعلى وبابتسامة فارغة واسعة، وجسد مترهل وأقدام متدلية، وأسنان نخرة مسودة.

أسرع (بولي) في المشي قليلًا، لكن الجسد المترهل سأله:

- هيه، أنت يا صاح، هل أنت العامل الجديد في (بوتويل إن)؟

- يُفترض أنني كذلك.

تعلق (جيم) في ذراع السيد (بولي) وهو يلهث:

- هيه يا صاح، نحن لسنا في ماراثون لعين، هدئ قليلًا، أريد التحدث معك.

حرَّر (بولي) ذراعه من يد (جيم)، وقال في استنكار:

- ما هذا؟!

- أريد فقط أن أتكلم معك. ترى؟! مجرد كلمة ودودة أو كلمتين فقط لتوضيح أي أخطاء أو سوء فهم. هذا كل ما أريد. لا داعي لأن تكون متكبرًا، حتى ولو كنت أنا الرجل المحظور في بيتويل إن!

توقف (بولي)، ونظر إلى وجه (جيم) الكريه، وشم رائحة فمه المقززة عندما اقترب منه وقال (جيم):

- عليك أن ترحل من هناك!

- أرحل؟!!

- نعم، فإن بيتويل إن هو مكاني المفضل، ولا أحب مشاركة فيه.

- ماذا تعني بكلامك؟! لا أفهمك!

رفع أصابعه تحت ذقن (بولي)، وكوَّرها كأنها مخالب قرد متابعًا في شراسة:

- هذا ليس من شأنك اللعين، عليك أن ترحل!

- وإذا لم أفعل ذلك؟!

تغيَّرت طبقة صوت (جيم) إلى لهجة أكثر شراسة، ثم قال وهو يُقرب وجهه من وجه (بولي):

- اسمع يا صاح، لا بد أن تكون ممتنًّا لي؛ لأنني أنذرتك، فأنا لا أفعل ذلك كثيرًا، وأنت لا تعرف ما أنت مقبل عليه إذا لم تنفذ كلامي.

سمع (بولي) الكلمات، لكنه لم يقلق كثيرًا. في الحقيقة هو يرى السيد (جيم) مجرد فم يتحدث كثيرًا.

- وإذا لم أستمع إلى كلماتك هذه؟!

- أوه، أنت لا تتخيل يا صغيري!

امسك (جيم) معصم السيد (بولي) بقبضته، ضاغطًا عليه، وساعتها أدرك السيد (بولي) القوة الحقيقية لعضلات هذا الشيء.

- من الأفضل لك أن تستمع إليَّ، فلن تحب أبدًا ما سأفعله بك، سوف تبكي ألمًا وتعبًا، سوف أفعل بك العديد من الأشياء، سأوذيك، سوف أمزقّك تمزيقًا، هل تسمعني؟ لأنك يجب أن تسمعني جيدًا!

- لا حق لك في فعل ذلك! قالها (بولي) في خفوت.

- حق!

ثم أعقبها بضحكة شبيهة بمجرور يفتح في شارع هادئ، وقال:

- اسأل العجوز، عمتي البدينة، عن الحق الذي يمتلكه (جيم)، أما أنت، فسترحل بلا رجعة.

بدأ (بولي) يشعر بالخوف لأول مرة:

- الوقت متأخر للرحيل اليوم.

- سوف أكون عند الفندق صباح الغد عند الحادية عشرة، وإذا وجدتُك...

ثم صمت، صمتًا بليغًا جدًّا

- حسنًا، سوف آخذ كلامك في الاعتبار.

قالها (بولي) محاولًا تصنع الهدوء والتماسك.

- من الأفضل لك.

قالها بصوت كفحيح ثعابين المجارير المفتوحة.

ثم نفض ذراع (بولي)، وتراجع (العم جيم) وهو ينظر إلى وجه السيد (بولي) في شراسة، ثم غاب عن بصره في الظلام.

حتى بدا وكأن الظلال السوداء قد ابتلعت جسده تمامًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(7)

في صباح اليوم التالي، نحو العاشرة والنصف، وجد (بولي) نفسه جالسًا تحت مجموعة من أشجار البلوط على جانب الطريق، وعلى بُعد قرابة ثلاثة أميال ونصف من فندق (بوتويل إن).

لم يكن متأكدًا بأي حال من الأحوال ما إذا كان يمشي لتصفية ذهنه، أو لأنه ينوي مغادرة تلك الجنة الملوثة بالتهديد إلى الأبد.

قال لنفسه: إن التهديد الذي يُحيط بتلك المرأة الممتلئة اللطيفة، المقبولة، المريحة لم يكن من شأنه؛ وهذه الطفلة ذات الشعر الأسود، والتي كانت ألطف من الزهرة وأنعم من الخوخ، لم تكن مصدر قلق له.

إن (جيم) لديه نوع من العلاقة بينهم، وهم أقارب، وهذا ليس شأنه في النهاية.

- يا إلهي! صرخ بها مُلتاعًا.

- لماذا لا تستمع إلى صوت العقل وتعود إلى (ميريام) الآن؟

لقد كان قد أمضى عُطلة سعيدة جيدة وانتهى الأمر.

وبينما جلس السيد (بولي) يُفكِّر في هذه الأشياء بقدر استطاعته، كان يعلم أنه لو تجرَّأ على المقاومة فإن الحكم قد صَدَرَ عليه.

ولكن، كان يعرف الآن بقدر ما يعرفه الرجل الحقيقي عن الحياة.

كان يعلم أنه يجب أن يقاتل أو يموت. لم تكن الحياة واضحة له من قبل. لقد كانت دائمًا مشهدًا مرتبكًا وممتعًا، لقد استجاب لهذا الدافع، وكان يبحث عن أشياء ممتعة ومُسلِّية، ويتجنب الأشياء الصعبة والمؤلمة.

هذا هو أسلوب أولئك الذين يكبرون على حياة لا يوجد فيها خطر ولا شَرَف.

لقد كان مشوشًا ومضطربًا مثل مخلوق ولد في الغابة لم يرَ أبدًا البحر أو السماء، والآن خرج منها فجأة إلى مكان كبير مكشوف.

قال السيد (بولي) متحدثًا إلى الناس بصوت عالٍ:

- هذا ليس من شأني.

ومرة أخرى، بشيء ما بين الأنين والزمجرة في صوته:

- ليس من شأني اللعين.

وبَدَا أن عقله قد قسم نفسه إلى عدة أقسام، لكل منها مناقشة خاصة بها، وبغض النظر عن الآخرين.

عندما فكر في (العم جيم)، تلاشى الإحساس الداخلي بجسده بسرعة إلى انزعاج شديد:

- العجوز البدينة، ألم يكن لديها عمل سوى جري إلى مشاجراتها. يجب أن أذهب إلى الشرطة وأطلب المساعدة!

كانت حقيقة القضية تتقوس فوقه مثل قبة السماء.

يأتي الإنسان إلى الحياة كي يُقاتل من أجلها، ويواجه أي شيء، ويتجرأ على أي شيء من أجلها، ويعُد الموت شيئًا عاديًّا، ما دامت العيون تنظر إليه بفخر.

- لماذا بحق الجحيم ولدت؟ صرخ بها في سخط، وحقيقة أنه قد يُصبح بعد ساعات في قبضة رجل قذِر شرس.

- ولكن، إذا كانت لديَّ فرصة ضده.

لكن الجزء الأخر من عقله قال:

- ولكن ركلة واحدة في معدتي قد تنهي عليَّ.

- يا إلهي!

صرخ السيد (بولي)، ورفع عينيه إلى السماء، وقال للمرة الأخيرة في هذا الصراع العقلي العنيف:

- هذا ليس شأني!

لكنه وجَّه وجهه نحو فندق (بوتويل إن)، وقد اتخذ القرار الأخير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(8)

تتلخص الحرب الخاصة بين السيد (بولي) و(العم جيم) مِن أجل السيطرة على فندق (بوتويل إن)، إلى ثلاث حملات رئيسية.

كان هناك أولًا وقبل كل شيء الحملة الكبرى التي انتهت بإخراج (العم جيم) من مبنى الفندق، ثم جاءت بعد فترة وجيزة الغزوات غير المجدية للمبنى من قبل (العم جيم) والتي بلغت ذروتها في معركة ثعبان البحر الميت، وبعد ذلك بضعة أشهر من الهدنة، كان هناك آخر صراع كبير في (مفاجأة الليل).

كل من هذه الحملات تستحق قسمًا خاصًّا بها.

عاد السيد (بولي) إلى الفندق، ووجد المرأة الممتلئة الجسم جالسة إلى البار، وعيناها تحدقان فيه، ووجهها أبيض مبلل بالدموع.

- يا إلهي! كانت تقول مرارًا وتكرارًا.

وعلى الألواح المغطاة بالرمل أمام الحانة كانت شظايا زجاجة مكسورة وزجاج متحطم.

- إنه في الخارج، يبحث عن الفتاة.

- دعيني أتصرف، سأتصرف.

ذهب السيد (بولي) إلى النافذة، ونظر إلى الخارج.

كان (العم جيم) يتمشَّى في ممر الحديقة نحو الفندق، ويداه في جيوبه، وهو يغني بصوت أجش.

تذكر السيد (بولي) بعد ذلك بفخر ودهشة أنه لم يشعر بالخوف ولا بالعجز.

لقد نظر حوله، وأخذ زجاجة بيرة من رقبتها كعصا مرتجلة، وخرج من باب الحديقة. توقف (العم جيم) مندهشًا.

قال (جيم) مندهشًا:

- أنت ما زلت هنا! قلت لك ارحل!

- هذا ليس من شأنك.

وتقدَّم بضع خطوات نحوه.

وقف (العم جيم) وهو بدهشة غاضبة، ثم اندفع للأمام مُمسكًا بيدي السيد (بولي). شعر السيد (بولي) أنه إذا فقد الأفضلية على خصمه فسيضيع؛ لذا ضرب بكل قوته على رأسه القبيح أمامه.

تحطمت الزجاجة على رأس (جيم) فترنَّح، وهو نصف مذهول من الضربة.

لم يتوقع السيد (بولي) قط أن تتكسر تلك الزجاجة فوق رأس (جيم)؛ لذا شعر في التو بأنه منزوع السلاح وعاجز.

بينما تماسك (العم جيم)، وقد كان غاضبًا، ومن الواضح أنه لا يزال يتقدم نحوه، ولم يكن من وسيلة في يد السيد (بولي) سوى عنق زجاجة.

الآن يأتي الخطر مرة أخرى، فسيطر الرعب على (بولي)، واستدار وهرب حول زاوية الفندق.

- جبان!

جاء الصوت الغليظ للعدو من ورائه كشخص مُقدم على التحدي، وينزف بغزارة من جرح في رأسه، لكنه لا يقهر.

دخل (العم جيم) الفندق وهو يصرخ:

- جبان.. جبان!

ثم صرخ في غضب:

- أنا أقاتل بأي شيء يا جبان.

لقد تعلم (العم جيم) كل شيء عن القتال بالزجاجات في الإصلاحية، وبغض النظر عن عمته التي أصابها الرعب، حطم زجاجتين، وأمسكهما من العنق، ثم انطلق بحثًا عن فريسته.. السيد (بولي).

بينما السيد (بولي)، الذي تحرَّر من الشعور بالرعب، وقف وراء شجرة التوت واستجمع شجاعته، ودار حول الفندق إلى ضفة النهر، بحثًا عن سلاح، ووجد مجدافًا قديمًا لقارب، وما إن خرج (جيم) من الفندق، حتى استقبل الضربة على رأسه، لكن المجداف القديم تمزق مثل ورقة، ومرة أخرى ألقى السيد (بولي) الباقي من سلاحه وهرب.

كان هناك مراقب مهمل يراقبه وهو يركض ويدور حول الفندق خلال تلك المطاردة المثيرة من (العم جيم)، وربما يكون قد شكل تقديرًا خاطئًا تمامًا لما سيحدث لاحقًا.

ظهرت بعض المميزات التي تدعم السيد (بولي)؛ إذا كان العم جيم يتمتع بالقوة والشجاعة الغاشمة والتجربة الإجرامية التي توفرها الإصلاحية، فقد كان السيد (بولي) مع ذلك رصينًا وأكثر قدرة على الحركة والمراوغة وذا عقل متحمس.

اشتعلت كلمة (الإستراتيجي) باللون الأحمر في جنبات عقله، عندما كان يدور حول الفندق للمرة الثالثة، واندفع فجأة إلى الفناء، وأرجح الباب خلفه وأغلقه، وأمسك دلوًا معدنيًّا صلبًا، وما إن دخل (جيم) من الباب، حتى ألبسه (بولي) الدلو فوق رأسه، ثم دفعه في عنف، فاخترق الزجاج، وسقط مُترنِّحا من الضربة المفاجأة، بينما قفز (بولي) نحو، المطبخ، وأغلق الباب خلفه.

- لا يمكنني أن أستمر هكذا. ووقف يلتقط أنفاسه، وهو ممسك بإحدى المقشات كسلاح مرتجل.

ضرب (جيم) الباب في عنف عدة مرات وهو يُهدِّد ويتوعد، لكن السيد (بولي) الإستراتيجي، رأى خلفه الباب المؤدي إلى الباحة الخلفية المطلة على النهر، فقفز من الباب وهو يحمل المقشة المعدنية الضخمة، لكن (جيم) اقتحم الباب، وراءه وهو يخرج من الباب الخلفي، فركض نحوه مسرعًا، لكنه تفاجأ بالمقشة المعدنية تضرب صدره.

وقبل أن يكرر (بولي) الضربة، أمسك (جيم) بالمقشة بكلتا يديه، وراح يدفع (بولي)، إلا أن (بولي) بكل ما أوتي من قوة، أمسك المقشة وراح يدفع في صدر الوحش القصير.

كانا يدوران حول نفسيهما، وكل منهما ممسك بطرف المقشة، وبدا لـ(بولي) أن الخمر قد لعبت برأس (جيم)، وبدأت تؤخر ردود أفعاله؛ لذا عندما اقتربا من ضفة النهر، دار (بولي) دورة أخيرة، ثم دفع المقشة بكل ما تبقى له من قوة، ليلقي بـ(العم جيم) إلى النهر.

سقط الوحش في النهر مُحدثًا دويًّا عاليًا، إلا أن السيد (بولي) لم يركن لانتصاره المؤقت، فأمسك في يده بأحد مجاديف القوارب، وراح يدفع رأس (جيم) نحو الماء، محاولًا إغراقه، أو هكذا بَدَا الأمر لذلك المتابع غير المهتم!!

- أنا أغرق وصدري لا يتحمل الماء! اختلطت صرخات (جيم) بأصوات فقاقيع الماء الخارجة من فمه.

- اذهب من هنا ولا تعد ثانية.

- سأقتلك أيها اللعين.

راح (بولي) يضغط على رأس (جيم)، حتى غاص رأسه في الماء، لكنه لم يزل يقاوم ويرفع رأسه.

- هذا ليس عادلًا، هذا ليس قتالًا. راح يصرخ في ألم.

- ارحل من هنا ولا تعُد ثانية.

- هذا ليس قتالًا عادلًا!

- ارحل من هنا، وإلا فعلت بك ما هو أسوأ.

غطس (جيم) تحت الماء، وتوقف عن المقاومة، فأرخى (بولي) ضغطه قليلًا، ليجد (جيم) وقد رفع رأسه من جديد، لكنه في هذه المرة راح يسبح مبتعدًا وهو يجاهد كي لا يبتلعه ماء النهر البارد.

ألقى (بولي) بالمجداف وهو يلهث، وانطلق يعدو نحو مدخل الفندق.

وما إن دخل إلى الاستقبال حتى وجد السيدة المسكينة تبكي وتولول:

- كنت أظن أنه قتلك!

- هل أبدو كذلك؟

- لكن أين جيم؟

- رحل.

- لقد كان مخمورًا وخطيرًا!

- هذا خفف من جنونه الخفيف! لقد أعطيته القليل من الأدب.

نزلت الفتاة اللطيفة من الطابق العلوي، وأمارات الفزع تقفز فوق قسمات وجهها الجميل:

- ألم يقتلك؟!

- ألم تشاهدي القتال كاملًا؟!

- كل ما رأيته هو أنك تجري حول المنزل و(العم جيم) يطاردك.

- اطمئني، لن تسمعي المزيد عن (العم جيم) لبعض الوقت.

بقدر ما شعر السيد (بولي) ببعض الراحة، لكنه كان يعرف أن (العم جيم) يُحدِّد موعدًا للغد، فقد رآه وهو يخرج من الماء، ويقف على الضفة الأخرى مبتلًّا وغاضبًا، وهو يرفع قبضته في الهواء ويصرخ بكلمات ما.

لذلك شعر السيد (بولي) بأن الحملة الأولى انتهت بانتصار غير آمِن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(9)

كان اليوم التالي هو الأربعاء، ويومًا من أيام الركود في فندق (بوتويل إن).

استيقظ السيد (بولي) مُبكرًا، وكان مشغولًا بتوقع التكتيكات المحتملة لـ(العم جيم).

لم يعد الآن ذلك اليائس، لقد شعر ببعض القوة والحماس، وبما أنَّ (العم جيم) قد هُزِمَ في مرة، فيمكنه أن يُهزَم للأبد.

ذهب السيد (بولي) إلى مؤخرة الفندق، وهو متحضر ببعض الإمكانيات القتالية، مثل بكر الأسلاك، والعصي النحاسية، وأدوات الحدائق، وسكاكين المطبخ، وشبكات الحدائق، والأسلاك الشائكة، والمجاديف، والزجاجات المكسورة.

لقد قرَّر أن يُعسكر في الحديقة، مُتسلِّحًا ضد احتمالات الهجوم الليلي.

ولكن بعد الظهيرة، جاء ثلاثة رجال للتخييم على ضفة النهر بجوار الفندق، وبينما أحدهم جالس يقشر بعض البصل في الحديقة، بعد أن أخذ الإذن من السيدة البدينة، وكان العم (جيم) يتسلل وهو يمسك في يده سكينًا ضخمة، وعصا هراوة صغيرة.

لكنه ارتكب غلطة شنيعة، عندما مَرَّ وهو يسب ويزمجر أمام الرجل، الذي طلب منه أن يبتعد من أمام المكان، لكن (جيم) راح يتوعَّد ويصيح في وجه الرجل.

في هذه اللحظة، وبينما الرجل يتناول إحدى عصيانه للدفاع عن نفسه، اندفع (بولي) خارجًا من الفندق وهو يحمل في يده مقلاة ضخمة، وضرب بها (جيم) على مؤخرة رأسه، فترنَّح قليلا، وعاجله الرجل بضربة عصا على ساقه.

شعر (جيم) بالخطر بغريزة حيوانية، فتقهقر هاربًا، لكنه وقع في طريق صديقي الرجل، اللذين لاحظا هروبه من اشتباك مع صديقه، فقفزا فوقه ليلقياه في الأرض، وانهالا عليه ضربًا، ولكنه في النهاية هرب بعد أن ذاق عصيهم وأحذيتهم.

قال (بولي) وهو يشكرهم:

- نشكركم أيها السادة، فهذا البلطجي لا يتوقف عن مضايقتنا، وهو يدَّعي أن السيدة المحترمة صاحبة المكان هي عمته، تخيل يا سيدي، عمة هذا الحقير؟!

لكنه ألقى نظرة على عين (العم جيم) الذي يختبئ جريحًا خلف شجرة على أول الطريق، وعرف أنه لن يستسلم بعد.

في الليل شعر بأنه ربما لا يحالفه الحظ في المناسبة الثالثة، وأن الخطر ما زال قائمًا. وقد جاء ذلك قريبًا جدًّا.

كان يوم الخميس هادئًا جدًّا، ومرَّ مع الجمعة والسبت بلا قلق، وجاء يوم الأحد أكثر جزء من الأسبوع ازدحامًا في فندق (بوتويل إن)، ففي بعض الأحيان، يُرْسَى ما يصل إلى ستة قوارب في وقت واحد عند مرسى الفندق، ويزيد استئجار قوارب التجديف، ويمكن للضيوف إما تناول الشاي فقط، أو شاي كامل مع المربى والكعك والبيض، أو المرطبات على النحو الذي يختارونه.

وفي نهاية اليوم، يرحل الضيوف والمعسكرون والزوار، ويبقى القليل فقط منهم يتسكعون.

كان السيد (بولي) في القبو يحضر بعضًا من بيرة الزنجبيل، عندما سمع صوت (جيم)، ليس فقط صوتًا أجش، بل غليظًا، حيث تثقل الأصوات تحت تأثير الكحول.

- اخرج إلى هنا أيها الجبان عاري الوجه، أيها المخنث.

سمع (بولي) صوته أوضح ما يكون وهو يخرج من القبو.

- اخرج إليَّ يا صغيري، فلديَّ شيء من أجلك!

كان يصرخ وهو يحاول مقاومة تأثير الكحول عليه:

- اخرج من عشي أيها الوقواق اللعين، أو سأقطع أجنحتك السخيفة! اخرج منه أيها الجرذ القذر! أتسرق منزل رجل آخر وهو بعيد عنه! تعالَ وانظر في وجهي، أنت يا ابن الظربان القذرة.

حمل (بولي) صندوق البيرة، وصعد به إلى البار.

- إنه بالخارج. قالت السيدة البدينة وهي ترتعش من الخوف.

- سمعته، أعطني فقط مقبض البوكر القديم الموجود تحت ماكينة البيرة.

وفجأة، فتح الباب بهدوء، واستدار السيد (بولي) بسرعة.

أطل من الباب ذلك الوجه الذكي لشاب ذي نظارة مذهبة، وأسلوب رصين.

- هناك شاب في الخارج، ويبدو أنه يريد شخصًا ما.

- لماذا لا يأتي إلى الداخل إذن؟

- يبدو أنه يريدك هناك.

- ماذا يريد إذن؟

قال الشاب بعد لحظة ممتلئة بالتفكير:

- أظن أنه قد أحضر لك هدية من الأسماك.

- ألا يصرخ بصوت مزعج؟

- إنه صاخب قليلًا.

- من الأفضل أن يأتي إلى الداخل إذن.

- أتمنى أن تخرج وتُقنعه بالرحيل، فلغته ليست هي الشيء المناسب للسيدات.

قالت المرأة الممتلئة بصوت مشحون بالحزن:

دائمًا لم يكن الأمر كذلك.

تحرَّك السيد (بولي) نحو الباب، ووقف ويده على المقبض المعدني.

- الآن، يا رجلي كن حذرًا مما تقوله!

قالها الرجل الرصين لـ(جيم) الغاضب.

- هل جننتَ يا هذا؟! هل تناديني يا رجلي؟!

وأضاف بازدراء:

- أيها الخنزير ذو العيون الذهبية، أنت!

قال الرجل المحترم ذو النظارة الذهبية.

- اكبح جماح نفسك يا هذا!

ظهر السيد (بولي)، والمقبض المعدني العملاق في يده، في الوقت المناسب تمامًا ليرى ما أعقب ذلك.

كان (العم جيم) قد شمَّر أكمام القميص، وهو في حالة غضب هادر، ويمسك في يده ثعبان البحر الميت العملاق، ثم ضرب الرجل المحترم تحت فكه بعنف، وصدرت صرخة من الرعب من الجالسين على مرمى البصر، وصرخت إحدى الفتيات، بينما نهض الجميع مسرعين نحو ساحة المعركة.

شعر (بولي) بدعم مادي كبير الآن.

هرع (بولي) وهو يُلوِّح بالمقبض:

- اترك الرجل وارمِ هذا الثعبان.

- هذا هو، الوغد الذي أبحث عنه.

يبدو أن الجميع راح يتعاون، فقد ضربت سيدة تحمل مظلة وردية (العم جيم) بمظلتها على رأسه، بينما لكمه الشاب ذو القميص الأزرق، وضرب الرجل المحترم بطنه مستخدمًا قدمه، واستغل (بولي) الفرصة ووجه له ضربة موجعة.

- ابتعدوا عني أيها الأوغاد! صرخ (جيم) عاليًا وهو يُطوِّح بثعبان البحر في الجمع، ليضرب به وجه (بولي).

- ماذا يريد هذا الرجل؟! صرخ بها رجل يرتدي الأبيض والأسود، وهو يُكوِّر قبضته مقتربًا.

- قيدوه، من ياقة قميصه، قيدوه وأمسكوا ياقة قميصه.

- اطلبوا الشرطة لهذا الوغد!

حاول الجمع أن يسيطروا على الوضع، وتكالب عليه أربعة رجال يحاولون تركيعه وتوثيقه، وراحت النسوة تحاول الحصول على أي قماش لتقييده، لكن (العم جيم) كان صعب المراس، ماهرًا في القتال باليد، فانتفض ضاربًا أحد مَن يحاولون توثيقه، وركل (بولي) مُسْقِطًا إياه فوق أحد آنية الشاي الخاصة بإحدى العائلات المخيمة في المرج أمام الفندق، ثم ضرب برأسه واحدًا مِمَّن يحاولون منعه من الهروب، وهرب مسرعًا.

جلس السيد (بولي) بعد برهة بين أنقاض آنية الشاي.

بَدَت الكثير من الأشياء مبعثرة ومكسورة، لكن كان من الصعب استيعابها كلها مرة واحدة، وهو يُحدِّق بين أرجل الناس.

وسمع وهو يحاول النهوض رجلًا يتحدث ببطء ويشكو:

- يجب على شخص ما أن يدفع ثمن هذه الآنية، فنحن لم نحضرها للرقص عليها بشكل من الأشكال!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(10)

مرت الأشهر الثلاثة التالية بسرعة كبيرة.

شهور من أشعة الشمس والدفء، وخبرات متجانسة، ومفيدة وطعام صحي، وبلا عُسْر هضم، وجعلت السيد (بولي) قوي البنية، وشهدت بدايات نمو لحيته.

أشهر عكر صفوها شيء واحد فقط، القلق، وهو قلق بذل السيد (بولي) قصارى جهده لقمعه.

لكن اسم (العم جيم) كان مكتوبًا على ذاكرتهم، ومع اقتراب انتهاء فترة الراحة تلك، ازداد قلقه، وكان يفكر في شراء مسدس.

أخيرًا، اشترى بندقية قذرة صغيرة من مدينة لامام بحجة تخويف الطيور، وحملها بعناية معه، وأخفاها تحت سريره من عين المرأة الممتلئة.

وتُوفِّي شهر سبتمبر، وجاء أكتوبر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(11)

وأخيرًا، جاءت تلك الليلة في أكتوبر والتي من الصعب جدًّا على مؤرخ متعاطف أن ينكر إيجابيتها وأثرها.

سوف أحكي كل الظروف المحيطة، برغم أن السيد (بولي) لم يحب ذلك الجزء.

بدأ الأمر بذلك الدراج، وكان رجلًا اسمه (وارسبيتي)، وكان يعاني أرَقًا.

كان قد نهض وخرج من منزله بالقرب من لامام قبل الفجر بقليل، واكتشف السيد (بولي) مختبئًا جزئيًّا في خندق بجوار جدار باحة كنيسة (بوتويل).

ويقول: إنه عندما ترجَّل من موقعه ليرى لماذا لم يظهر من السيد (بولي) سوى رأسه فقط، طلب منه أن ينتبه.

كان يرتدي ثوب نوم قطنيًّا أبيض من النوع الذي كان بديلًا عن البيجامات الآن، وكانت ساقاه ورجلاه عاريتين ومخدوشتين، وموحلتين للغاية.

كان (بولي) واقفًا هناك مبتسمًا، وهو يشير إلى البندقية الملقاة تحت نُصُب تذكاري في ساحة الكنيسة.

عاد الرجلان بمبادرة من السيد (بولي) عبر باحة الكنيسة إلى فندق (بوتويل إن).

في الطريق، أوضح له السيد (بولي) أنه هرب إلى باحة الكنيسة بسبب الغطاء الذي توفره شواهد القبور من أي طلقة صغيرة، وأعرب عن قلقه بشأن مصير صاحبة فندق (بوتويل إن) وحفيدتها، ومشيا في الطريق بحذر شديد على طول الممر المؤدي إلى الفندق، ووجدا الأبواب مفتوحة، والبار يعاني بعض الفوضى، وعدة زجاجات مفقودة أو مكسورة، وبليك، شرطي القرية، ينقر بنفاد صبر على الباب المفتوح.

دخل ثلاثتهم، ولاحظوا تحطم الزجاج، والخدوش في أخشاب البار، وآثار الطلقات في الحائط، وسمعوا صوت صاحبة الفندق وهي تصرخ، وقالت: إنها حبست نفسها في الطابق العلوي مع الفتاة الصغيرة، ورفضت النزول حتى تأكدت من عدم وجود (العم جيم) ولا السيد (بولي) في أي مكان في المبنى، هم ومسدساتهم.

جلس السيد (بليك) والسيد (وارسبيتي)، وذهب السيد (بولي) إلى غرفته بحثًا عن ملابس أكثر ملاءمة، وعاد على الفور وهو يطلب من السيد (بليك) والسيد (وارسبيتي) أن يأتيا وينظرا للتو.

وجدا غرفته في حالة من الارتباك غير العادي، وأغطية السرير ملقاة في الزاوية، والأدراج كلها مفتوحة ومُعرَّضة للنهب، والكرسي مكسور، وقفل الباب قد فتح قسريًّا، ولوح باب محترق من إثر رصاصة، والنافذة مفتوحة على مصراعيها.

لم يجدوا أيًّا من ملابس السيد (بولي)، إلا أفرول بني خاص بالزراعة وزوج من الأحذية غير السليمة كانت متناثرة على الأرض، ولا تزال رائحة البارود الخافتة معلقة في الهواء، وقد أُلقِي كتابان أو

ثلاثة كتب حصل عليها السيد (بولي) مؤخرًا مع بعض العنف ضد الأغلفة تحت السرير.

نظر السيد (وارسبيتي) إلى السيد (بليك)، ثم نظر الرجلان إلى السيد (بولي).

قال السيد (بولي)

- هذا هو حذاؤه.

حول (بليك) عينه إلى النافذة قائلًا:

- لقد تحطمت بعض هذه البلاطات للتو.

فقال السيد (بولي) في هدوء:

- لقد خرجت من النافذة وانزلقت على بلاط سقف المطبخ.

كان يبدو لا مباليًا وهو يشرح الأمر، وكأن من الطبيعي أن يفعل ذلك.

فقال (بليك) وهو ينظر إلى (بولي) متشككًا:

- من الأفضل أن نجده إذن ونتحدث معه قليلًا. هذا يتعلق بعملي الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(12)

لكن العم (جيم) اختفى تمامًا.

لم يعُد (جيم) للظهور لبضعة أيام.

ربما لم يكن ذلك رائعًا جدًّا، لكن الأيام امتدت لأسابيع، والأسابيع إلى شهور، وما زال (العم جيم) لم يظهر.

مرَّ عام وخفَّت حِدَّة قلقه؛ سنة شفاء ثانية تلي الأولى، وبعد ظهر أحد الأيام بعد نحو ثلاثين شهرًا من مفاجأة الليل تلك، تحدثت عنه المرأة البدينة.

- أتساءل ما الذي حلَّ بجيم؟

فيبتسم (بولي) في غموض قائلًا:

- أتساءل أنا أيضًا في بعض الأحيان!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل العاشر

زيارة (ميريام)

(1)

بعد ظهيرة أحد أيام الصيف، بعد نحو خمس سنوات من مجيئه الأول إلى فندق (بوتويل إن)، كان السيد (بولي) نفسه جالسًا يصطاد على حافة النهر.

لقد كان السيد (بولي) ممتلئ الجسم الآن، وأكثر سُمرة وصِحَّة تمامًا من المفلس البائس الذي افتتحت روايتنا بصورته المبتذلة.

كان سمينًا، لكن بدنه متناسق بشكل عام، وكان الجزء السفلي من وجهه مزينًا بلحية صغيرة مربعة. كما انتشر الصلع في رأسه.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يجد فيها وقتًا ممتعًا للصيد، على الرغم من أنه منذ بداية مسيرته المهنية في (بوتويل)، كان قد وعد نفسه بالانغماس في ملذات الصيد.

بدأ السيد (بولي) يفكر في (ميريام) عن بُعد وبصورة غير شخصية.

لقد تذكر العديد من الأشياء التي أهملها ضميره خلال الأوقات المزدحمة، مثل -على سبيل المثال- أنه أضرم النار عمدًا في بيته وهَجَرَ زوجته.

لأول مرة تذكر هذه الحقائق المهملة منذ زمن طويل.

من غير المقبول أن يظن المرء أنه من العادي أن يرتكب الحرق العمد؛ لأنه فعل يؤدي إلى السجن، لكن خلاف ذلك، لا أرى أنه كان هناك ذرة من الأسف لذلك في تكوين السيد (بولي)؛ فهو لم يَلُمْ نفسه لحظة على ذلك.

لكن هجر (ميريام) كان أمرًا مختلفًا؛ كان هجر (ميريام) لئيمًا.

هذا تاريخ وليس تمجيدًا للسيد (بولي)، وأنا أتحدث عن الأشياء كما كانت تحدث معه، بصرف النظر عن الإحساس البغيض، الناشئ عن التفكير فيما قد يحدث إذا اكتُشِف، لم يكن لديه أدنى ندم على هذا الحريق.

يستحق عدد كبير من المنازل أن يُحرق، ومعظم الأثاث الحديث غير المتناسق، والأغلبية الساحقة من الصور والكتب.. إلخ إلخ، وقد يستمر المرء لبعض الوقت يذكر تلك القائمة الطويلة.

إذا كان مجتمعنا بشكل جماعي أكثر من مجرد مجتمع أحمق ضعيف، فسيحرق أفراده معظم لندن وشيكاغو، على سبيل المثال، ويبني مدنًا عاقلة وجميلة في مكان هذه الأكوام الوبائية القبيحة.

لقد فشلت في تقديم السيد (بولي) تمامًا إذا لم أجعلك ترى أنه كان في كثير من النواحي طفلًا غير مُهذَّب للطبيعة، وغير مدرَّب، وغير منضبط وعفوي، أكثر من كونه متوحشًا، وكان سعيدًا حقًّا، على الرغم من كل هذه العيوب الصغيرة فإنه تحلى بالشجاعة لإضرام النار في منزله والهرب والذهاب إلى فندق (بوتويل إن)، ليبدأ حياة جديدة.

لكنه لم يكن سعيدًا؛ لأنه ترك (ميريام).

لقد رأى (ميريام) تبكي مرة أو مرتين في حياته، ودائمًا ما جعله هذا يشعر بالتعاطف الشديد، ولكن هو الآن يجعلها تبكي بالتأكيد.

كان قد استقر حتى الآن على يقين كامل بأن لديها أكثر من مئة جنيه من أموال التأمين، ولكن الآن، أدرك أن مئة جنيه لا تدوم إلى الأبد.

كانت قناعته بعدم أهليتها -للحفاظ على المال- ثابتة؛ كان من المؤكد أنها أفسدت الأمر بطريقة أو بأخرى بحلول هذا الوقت!

- اللعنة!

قارن بين راحته وصحته وبين ضائقة (ميريام) المتخيلة.

- يجب أن تفعل شيئًا لنفسها.

قال السيد (بولي)، يعيد وضع خطافه، ويستعد لإلقائه.

- كانت تتحدث دائمًا عن فعل الأشياء الصحيحة. لماذا لا تستطيع أن تفعلها بنفسها؟

شاهد العوامة تتأرجح برفق فوق صفحة الماء.

- من السخف أن تبدأ التفكير فيها، تلك السخيفة اللعينة!

ولكن بمجرد أن بدأ يفكر فيها، كان عليه أن يستمر في التفكير بلا توقف.

- يا حظي!

صرخ السيد (بولي) الآن، ورفع خطافه ليجد سمكة أخرى قد اختطفت الطعم للتو، وهربت منه في اللحظة الأخيرة.

لا بُدَّ أن أسلوب تعامل السمك معه جعل المسكين يشعر بأنه غير مُرحَّب به هنا، فجمع أغراضه واتجه نحو المنزل.

على الباب، وقفت السيدة البدينة الطيبة:

- اصطدت الكثير؟

- لا كثير ولا قليل!

ابتسمت له، فتقاطعت الابتسامتان، ثم قال:

- خطرت ببالي فكرة ما، هل سيضايقك كثيرًا إذا ذهبت يومًا أو يومين؛ لقضاء عطلة قصيرة؟ لن يكون هناك الكثير من العمل من الآن حتى يوم الخميس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

بعد أن شعر بالأمان والاختلاف بسبب لحيته، زار السيد (بولي) شارع فيشبورن هاي ستريت مرة أخرى.

كان الجانب الشمالي بقدر ما كان يعرفه باستثناء أن متجر روسبر قد اختفى، وحلَّ صف من المحلات التجارية الجديدة محل الدمار الذي أحدثه الحريق الكبير.

صعد مبنى جديد لـ (مانتل) و(ثوربسون) مرة أخرى على نمط أكثر حداثة، وكانت محطة الإطفاء الجديدة على الطراز السويسري، وبها الكثير من الطلاء الأحمر.

في المنزل المجاور في مكان (رامبولد)، كان هناك فرع لشركة كولونيال تي كومباني، ثم متجر سالمون وجلوكستين للتبغ، ثم متجر صغير يعرض الحلويات ويعلن (غرفة الشاي في الطابق العلوي).

وأسفل اللوحة، وجد الأسماء

)بولي) و(لاركنس).. في الحقيقة، أنا مندهش.

أصابه الضَّعْف اللحظي. سارَ في الشارع مُبتعدًا، لكنه عاد وراح يُراقِب المحل مرة أخرى، ورأى امرأة في منتصف العمر، غير مُرتَّبة إلى حدٍّ ما تقف خلف المنضدة، والتي ظن للحظة أنها قد تكون (ميريام) وقد تغيَّرت بشكل رهيب، ثم عرف أنها أختها الكبرى (آني)، ممتلئة بشدة، ولم تعد مَرِحَة كما كانت.

دخل إلى المحل، فحدقت به دون أي إشارة تبين أنها تعرَّفته عند دخوله المحل.

- هل يمكنني تناول الشاي؟

- يمكنك بالطبع، لكن غرفة الشاي لدينا في الطابق العلوي... كانت أختي تنظفها، وهذا أمر سيئ بعض الشيء.

قال السيد (بولي) بهدوء:

- بالتأكيد سيكون كذلك.

- أستميحك عذرًا؟ قالت (آني).

- قلت إنني لا أمانع. هنا في الأعلى؟

- بالتأكيد، أظن أنه سيكون هناك طاولة مرتبة.

صعدا إلى الأعلى، وكانت غرفة الشاي بالفعل مقلوبة وغير منظمة

قال السيد (بولي) بمرح:

- لا شيء يضاهي قلب كل شيء رأسًا على عقب في أثناء التنظيف.

- إنها طريقة أختي المعتادة.

ثم نظرت نحوه من جديد متابعة:

- لقد خرجتْ من أجل القليل من الهواء، لكنها ستعود قريبًا للانتهاء من الترتيب. إنها غرفة مضيئة لطيفة عندما تكون مرتَّبة. هل يمكنني وضع طاولة لك هناك؟

جلس بالقرب من النافذة المفتوحة، وراح ينقر على الطاولة، ويفكر في خطوته التالية بينما اختفت (آني) لتحضر الشاي.

بعد كل شيء، لم تكن الأمور تبدو سيئة للغاية مع (ميريام). لقد جرَّب عدة سيناريوهات في خياله، لكن لم يخطر بباله أن الأمور جيدة.

قال بينما كانت (آني) تضع الشاي أمامه:

- اسم غير عادي، (بولي) و(لاركينس). أفترض أنه حقيقي؟

- اسم (بولي) هو لأختي؛ تزوجت من السيد (بولي).

- أرملة؟

- نعم، هذه هي السنة الخامسة، منذ أكتوبر.

- يا إلهي! قال السيد (بولي) في مفاجأة صريحة.

- غرقًا أظن، لقد كان هناك الكثير من الكلام في المكان.

- لم أسمع به من قبل؛ فأنا غريب عن هنا.

- غرق في ميدواي بالقرب من ميدستون. لا بُدَّ أنه كان في الماء عدة أيام. لم تكن لتعرفه، لم تعرفه أختي لولا الاسم المخيط في ملابسه. كل شيء فيه كان أبيض.

- لا بُد أنها كانت صدمة بالنسبة لها؟!

- لقد كانت صدمة، لكن في بعض الأحيان تكون الصدمة أفضل من عذاب طويل.

- لا شك في ذلك.

كان قلبه يدق بعنف، وهناك شيء ما يقول بداخله:

- إذن أنا غرقت.

قال السيد (بولي).

- الزواج مثل اليانصيب. لقد وجدت الأمر كذلك!

- هل تريد بعض المربى؟

- أريد بيضة. ولكن ألم يكن هذا الزوج جيدًا، هذا السيد (بولي)؟

- لقد كان زوجًا سيئًا، وكنت أُشْفِق على أختي. كان من هذا النوع..

- فاسد؟ قال (بولي) بصوت خافت.

فقالت (آني) بحكمة:

- لا، كان ضعيفًا، ضعيفًا مثل الماء، البيض مسلوق، أليس كذلك؟

- أربع دقائق بالضبط، شكرًا.

ما أربكه كثيرًا هو ندمه وحنانه إلى (ميريام).

الآن عاد إلى جوِّها الذي يكرهه، وعاد الشعور القديم بالعداء لها، مع كل هذا الأثاث المكدس، والسجاد الاقتصادي، والصور غير السارة على الحائط.

لماذا شعر بالندم؟ لماذا ارتسم في عقله هذا الوهم لامرأة عاجزة تبكي بصوت عالٍ في الظلام الدامس من أجله؟

ألغاز القلب التي لا يمكن فهمها.

عاد إلى قضية أصغر. هل كان ضعيفًا بالفعل؟

- هل كان هناك تحقيق حول هذا الشاب المُسمى (بولي)؟

- بالطبع.

- هل أنت متأكدون من أنه هو؟

- بالتأكيد.

ثم تركته ونزلت.

كان مستمتعًا بالبيضة وكوب الشاي، عندما دخلت (ميريام).

نظر إلى أعلى، وقال:

- مساء جميل.

ساعتها، أَدْرك أنها تعرَّفته على الفور من خلال الإيماءة والصوت.

شحب وجهها، وأغلقت الباب خلفها، وبَدَتْ وكأنها ستُصاب بالإغماء.

نهض السيد (بولي) بسرعة، وأجلسها.

- إلهي الرحيم!

هَمَسَتْ، وانهارت بدلًا من الجلوس:

- أنت؟!

- لا، ليس كذلك! إنه فقط يبدو مثلي، هذا كل شيء.

- كنت أعرف أن الرجل الغارق لم يكن أنت، طوال الوقت حاولت أن أظن أنه كان أنت! حاولت التفكير في أن الماء ربما غيَّر معصميك وقدميك ولون شعرك.

هَمْهَم بشيء لم يسمعه هو، وهي تتابع:

- كنت أخشى دائمًا من عودتك.

جلس (بولي) بجوار بيضته، وقال بجدية شديدة:

- أنا لم أعُد.

كانت تبكي!

- انظري إليَّ هنا يا (ميريام)، أنا لم أعُد ولن أعود! أنا.. أنا زائر من عالم آخر. تصمتي أنتِ وسأصمت أنا بشأن نفسي. عُدتُ لأنني ظننت أنك قد تكونين في حال صعبة أو في مشكلة أو شيء سخيف من هذا القبيل. الآن أراك مرة أخرى وأنت في حال جيدة، أنا راضٍ.. أنا راضٍ تمامًا.

التفت إلى الشاي الخاص به للحظة، وانتهى من فنجانه مسرعًا بضوضاء عالية، ثم وقف وقال:

- لا تظني أنك سترينني مرة أخرى؛ لأنك لست راغبة في ذلك.

ثم اتجه إلى الباب، وقال:

- لقد كانت بيضة لذيذة.

ثم اختفى عن عينيها.

وذهب إلى الأبد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

جلس السيد (بولي) بجانب المرأة البدينة على إحدى الطاولات الخضراء الصغيرة في الجزء الخلفي من فندق (بوتويل إن)، يفكر في لغز تلك الحياة.

كانت إحدى تلك اللحظات وقت غروب الشمس، مُضيئة بهدوء، ساكنة الهواء، وسريان النهر في أفضل حالاته.

طَفَتْ بجعة على الكتل الخضراء الداكنة للضفة الأخرى، وتدفق التيار واسعًا ولامعًا بضوء شمس الغروب، وارتفعت أشجار الحور الثلاثة صافية ومتناغمة مع السماء، وكان الأمر كما لو كان كل شيء آمنًا داخل كرة أرضية رائعة.

قال السيد (بولي) بهدوء:

- (جيم) لن يعود مرة أخرى أبدًا، لقد غرق منذ خمس سنوات.

- أين؟!

سألت المرأة البدينة متفاجئة.

- أميال من هنا، في ميدواي، بعيدًا في كنت.

- يا إلهي، كيف؟!

- أظن أن هذا صحيح.

- كيف عرفت؟

- ذهبت إلى منزلي.

- أين؟

- لا يهم، ذهبت واكتشفت. لقد كان في الماء بعض الأيام. لقد حصل على ملابسي وقالوا إنه أنا.

- هم مَن؟

- لا يهم، فأنا لن أعود إليهم.

نظرت إليه المرأة البدينة بصمت لبعض الوقت.

- (جيم) مسكين!

- لم يكن لديَّ الكثير مِن اللباقة أبدًا لأقول عنه ذلك.

ابتسم (بولي) في هدوء، ثم قال:

- أظن أنه من الجيد أنه ليس على قيد الحياة.

ثم صمت بُرهة وقال بهدوء حزين:

- يبدو أن المرء يبدأ في الحياة، ويتوقع شيئًا ما، وهذا لا يحدث، ولا يهم. يبدأ المرء بأفكار أن الأشياء -كما تبدو- جيدة وسيئة. لقد كنتُ دائمًا من النوع المتشكِّك، وكنتُ أشك في أننا نعرف الخير من الشر.

لا أرى أن ما فعلته كان شيئًا سيئًا، لقد أقدمت على حرق لعبة كما فعلت ذات مرة عندما كنت طفلًا، وكدت أقتل نفسي بشفرة حلاقة. مَن لم يفعل ذلك؟

نظر لها (بولي) وتابع:

- معظم وقتي كنت أحلم؛ تزوجت مثل الحلم تقريبًا. لم أُخطِّط أبدًا لحياتي، كل ما حَدَثَ قد حدث مِن تلقاء نفسه، ويبدو أن الأمر كذلك مع الجميع. لم يستطع (جيم) مساعدة نفسه، أطلقت النار عليه، وحاولت قتله. أُسْقِطت البندقية وحصل عليها. لقد كاد أن يفتك بي ففتكت به.

كان سيئًا، لكن عن جهْل وقلة تربية. كان مثل الأطفال في الحضانة، وقد أذى نفسه فقط.

هَزَّ رأسه وكأنه يُقلِّب الكلام في رأسه، ثم قال:

- ليس ما نُحاول الحصول عليه هو ما نحصُل عليه دائمًا، والشيء الجيد الذي نظن أننا نقوم به هو أمْرٌ جيد؛ ما يجعلنا سُعَداء ليس محاولتنا أن نكون سعداء، ما يجعل الآخرين سعداء ليس محاولتنا جعلهم كذلك، عليك أن تساوي أمورك وتتحمل عواقب أفعالك.. كانت (ميريام) تحاول دائمًا.

- مَن كانت (ميريام)؟

- لا تعرفينها، لكنها اعتادت أن تمشي مع حواجبها المعقودة، وهي تحاول ألَّا تفعل ما تريد أن تفعله.

ثم رفع يديه عاليًا وكأنه يحتضن السماء:

- إذا كنت زنجيًّا أو إيطاليًّا، يجب أن أنتفض هنا وأُغنِّي حتى غروب الشمس. أحيانًا أظن أنني أعيش من أجل غروب الشمس.

- لا أرى أنه من الجيد لك دائمًا النظر إلى غروب الشمس كما تفعل.

- وغروب الشمس من الأشياء التي صُنعت لأحبها.

- إنهم لا يريدونك معهم هناك.

- لا أهتم لذلك.

ثم عاد للنظر إلى السماء، وسرح ببصره نحوها من جديد:

- عندما يأتي غروب الشمس الجميل وأنا لست مشغولًا للغاية، سآتي لأجلس هنا.

نظرت إليه المرأة البدِينة، بنظرة كان الرضا يكافح فيها الانتصار على بعض الاحتجاجات الغامضة.

- أتمنى أن تستطيع ذلك.

استغرق (بولي) بعض الوقت قبل أن يجيب:

- سأكون نوعًا من الشعور بالشفاء من كل شيء عندما أرى الشمس تغرب، شعور هادئ ودافئ مثل...

ثم صمت.

لم يقُولا أي كلمة أكثر من ذلك، لكنهما جلسا في الشفق الدافئ حتى أصبحا أخيرًا بالكاد يستطيعان تمييز وجوه بعضهما البعض. لم يكونا يُفكران في أي شيء، بقدر ما كانا ضائعين في خيالاتهما.

ابتسم (بولي) في سلام، بينما نهضت السيدة البدينة، وقالت في جدية:

- وقت تحضير العشاء يا سيد، فكما قلت: لن نستطيع أن نجلس هُنا للأبد.

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

إهداء المترجم

مقدمة المترجم

الفصل الأول

البدايات والبازار

(1)

(2)

(3)

(4)

(5)

الفصل الثاني

طرد (بارسونز)

(1)

(2)

(3)

الفصل الثالث

المهد

(1)

(2)

(3)

الفصل الرابع

السيد (بولي) اليتيم

(1)

(2)

(3)

(4)

(5)

الفصل الخامس

السيد (بولي) في إجازة

(1)

(2)

(3)

(4)
(5)
(6)
(7)
الفصل السادس
(ميريام).
(1)
(2)
(3)
(4)
(5)
(6)
(7)
(8)
الفصل السابع
المتجر الصغير في فيشبورن
(1)
(2)
(3)
(4)
(5)
(6)
(7)
الفصل الثامن
وضع نهاية لكل شيء
(1)
(2)
(3)
(4)
(5)
الفصل التاسع
فندق بيتويل إن
(1)
(2)
(3)
(4)

(5)
(6)
(7)
(8)
(9)
(10)
(11)
(12)
الفصل العاشر
زيارة (ميريام)
(1)
(2)
(3)